جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

بَلَاغَةُ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الْأَسَالِيبِ الإِنْشَائِيَّةِ الطَّلَبِيَّةِ سُورَةُ "الْفُرْقَانِ" أُنْمُوذَجًا

The Rhetoric of Qur'anic Purposes in Directive Speech Acts: Surah Al-Furqan as a Modeln

إعداد

طه غالب عبد الرَّحيم طه

أستاذ مشارك، قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها

كُلِّيَّة العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة، قلقيلية، فلسطين

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الثاني (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

بَلَاغَةُ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الْأَسَالِيبِ الإِنْشَائِيَّةِ الطَّلَبِيَّةِ سُورَةُ "الْفُرْقَانِ" أُنْمُوذَجًا

طه غالب عبد الرَّحيم طه

قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها، كُلِّيَّة العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة، قلقيلية، فلسطين

البريد الإلكتروني : *ttahapal@gmail.com*

الملخص:

ترمي هذه الدِّراسة إلى مقاربة المقاصد القرآنيَّة، في المعاني البلاغيَّة، للأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة، ضمن سورة "الفُرقان"؛ لرصد مدى تأثير المباني في المعاني، ومقدار الانسجام بين المحاور والمظاهر؛ وصولًا إلى إدراك الإعجاز البلاغيِّ، في النَّظم القرآنيِّ.

وقُسِّمت المقاربة إلى (تمهيدٍ في: المفاهيم، والسُّورة الكريمة)، (وثلاثة مباحث لتحليل الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة؛ في محاور: الألوهيَّة والقرآن والنُّبُوَّة، والإنذار والجزاء والتَّثبيت، والقدرة الإلهيَّة والعبوديَّة المثاليَّة)؛ لبيان أغراضها البلاغيَّة المتوائمة مع مقاصد السُّورة الكريمة؛ عبر توظيف المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ.

وانتهى الباحث إلى: إسهام الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في إبراز المقاصد الجوهريَّة، وتنوُّع دلالاتها بفعل تعدُّد المسارات التَّفسيريَّة، وتناسبها النَّوعيِّ والعدديِّ مع المحاور الأساسيَّة، بالإضافة إلى الحضور اللَّافت لأسلوبي: (الأمر، والاستفهام)؛ لدورهما البارز في تعزيز القُوَّة الحِجاجيَّة الدَّاحضة لشبهات المُكَذِّبين، وتفعيل التَّأثير العقليِّ والشُّعوريِّ في المُتَلَقِّين، مع حضور (النِّداء، فالتَّحضيض، فالنَّهي، فالتَّمنِّي)، على التَّوالي، واستيفاء (المحور الثَّاني) الأساليب السَّابقة، دون المحورين: (الأوَّل، والثَّالث).

-**الكلمات المفتاحيَّة**: البلاغة؛ علم المعاني؛ الإنشاء الطَّلبيّ؛ سورة "الفُرقان."

The Rhetoric of Qur'anic Purposes in Directive Speech Acts: Surah Al-Furqan as a Model

Taha Ghaleb Abdul Rahim Taha
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature
College of Science and Islamic Studies, Qalqilya, Palestine

Email: *ttahapal@gmail.com*

Abstract:

This study aims to explore the Qur'anic purposes in the rhetorical meanings of directive speech acts in surah Al-Furqan. This aims to examine the extent to which linguistic structures influence meanings and the harmony between thematic axes and stylistic features, ultimately leading to adeeper understanding of the rhetorical miracle in the Qur'anic composition.

The approach was divided into an introduction covering key concepts and an overview of the surah, and three sections analyzing directive speech acts; in the thematic axes of: Divinity, the Qur'an and Prophethood, warning, reward and fortification, divine power and ideal servitude. These sections aim to clarify the rhetorical purposes that are compatible with the objectives of the surah employing a methodological framework descriptive-analytical.

The researcher concluded that directive speech acts significantly contribute to highlighting the core Qur'anic objectives, with their meanings varying due to the diverse interpretive paths. These stylistic forms show both qualitative and quantitative alignment with the main thematic axes of the surah. Notably, the styles of command and interrogation are particularly prominent due to their pivotal role in reinforcing argumentative force, refuting the skeptics' objections, and enhancing both intellectual and emotional impact on the audience. The styles of vocative, followed by exhortation, prohibition, and wish, also appear in that order. Interestingly, the second thematic axis includes all these styles, unlike the first and third axes.

-Keywords: *Qur'anic Rhetoric; Semantics; Directive Speech Acts; Surat Al-Furqan*

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على إمام المرسلين، وخاتم النَّبيِّين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فيقارب هذا الدَّرس الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في سورة "الفُرقان"؛ لغاية استقصاء آثارها البلاغيَّة؛ في ترسيخ المقاصد الفرعيَّة والكُلِّيَّة للسُّورة الكريمة؛ في ظلِّ ما اتَّسمت به من التَّنوُّع الدَّلاليِّ المُتَأتِّي من تعدُّد المسارات القرائيَّة، في أصول التَّفسير المتَّكئة على لطائف البلاغة؛ ولهذا التَّنوُّع أن يوحي بأهمِّيَّة الإنشاء الطَّلبيِّ في إبراز المضامين المحوريَّة، مع ما تحمله أساليبه من سعةٍ في آفاق الإعجاز القرآنيِّ؛ من جهتي: إعجاز النَّظم اللُّغويِّ المُحْكَم، وإعجاز التَّبليغ المُؤَثِّر في المكامن العقليَّة والشُّعوريَّة لجموع المُتَلقِّين.

وتتمثَّل مشكلة الدِّراسة في رصد تأثير الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة على صُعُد: (المعاني، والمقاصد، والغايات)؛ بما يُعمِّق الأُطُر: (التَّوجيهيَّة، والتَّنبيهيَّة، والحِجاجيَّة)، على سبيل العموم، ويضفي الأبعاد البلاغيَّة السِّياقيَّة المُؤَثِّرة في المُتَلقِّي، على وجه الخصوص.

واستجلت المقاربة المشكلة البحثيَّة في إطاري: (التَّمهيد، والتَّوصيف)؛ إذ خُصِّصَ التَّمهيد (للتَّعريف بالمفاهيم والسُّورة الكريمة)، ثمَّ وُظِّفَ التَّوصيف لاستقراء الأغراض البلاغيَّة للأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة؛ وذلك ضمن ثلاثة مباحث في: (محور الألوهيَّة والقرآن والنُّبُوَّة، ومحور الإنذار والجزاء والتَّثبيت، ومحور القدرة الإلهيَّة والعبوديَّة المثاليَّة).

واتَّكأ النَّهج الوصفيُّ التَّحليليُّ للدِّراسة على استقراء آراء المُفَسِّرين في الشَّواهد القرآنيَّة المتتابعة ضمن المحاور الثَّلاثة، مع استصفاء خلاصاتها؛ لتعزيز الإدراك المعنويِّ الشَّامل لها، من جهةٍ؛ ولتعميق الوعي البلاغيِّ بالمرامي الكُلِّيَّة للسُّورة الكريمة، من جهةٍ أخرى، ووقع هذا النَّهج في مقام التَّفضيل على معالجة الأساليب

الإنشائيَّة الطَّلبيَّة وفق أنواعها الأساسيَّة؛ وذلك في ضوء ما تقدَّم ذكره.

وتمَّ الاستناد، في المباحث الوصفيَّة التَّحليليَّة، إلى مجموعةٍ من التَّفاسير الَّتي بيَّنت بعض المعاني البلاغيَّة، للأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة، في السُّورة الكريمة؛ وهي على النَّحو الآتي:

١ – "الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل"، للزَّمخشريِّ، (ت٥٣٨هـ).

٢ – "المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لابن عطيَّة، (ت٥٤٢هـ).

٣ – "زاد المسير في علم التَّفسير"، لابن الجوزيِّ، (ت٥٩٧هـ).

٤ – "التَّفسير الكبير = مفاتيح الغيب"، للرَّازيِّ، (ت٦٠٦هـ).

٥ – "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبيِّ، (ت٦٧١هـ).

٦ – "أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل"، للبيضاويِّ، (ت٦٩١هـ).

٧ – "البحر المحيط في التَّفسير"، لأبي حيَّان الأندلسيِّ، (ت٧٤٥هـ).

٨ – "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثيرٍ، (ت٧٧٤هـ).

٩ – "إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السُّعود العماديِّ، (ت٩٨٢هـ).

١٠ – "تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان"، للسَّعديِّ، (ت١٣٧٦هـ).

١١ – "تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لابن عاشورٍ، (ت١٣٩٣هـ).

١٢ – "التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج"، لوهبة الزُّحيليِّ، (ت١٤٣٦هـ).

كما تمَّ التَّوجيه إلى إمكانيَّة استجلاء المضامين التَّفصيليَّة، لمحاور السُّورة الكريمة؛ عبر مطالعة التَّفاسير التَّحليليَّة والإجماليَّة؛ ومنها:

١ – "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، للطَّبريِّ، (ت٣١٠هـ).

٢ – "تفسير القرآن الكريم؛ سورة الفُرقان"، للشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين، (ت١٤٢١هـ).

٣ – "المختصر في تفسير القرآن الكريم"، لنخبةٍ من العلماء.

وتضمَّنت الحواشي بعض الإحالات إلى استجلاء المفاهيم البلاغيَّة على نحوٍ مُوَسَّعٍ، في عددٍ من المصادر والمراجع، الَّتي تنضوي ضمن مظانِّ الدَّرس اللُّغويِّ بعامَّةٍ، والمستوى البلاغيِّ بخاصَّةٍ، مع اعتماد التَّرتيب على وفيات المُصَنِّفين في المصادر القديمة، وعلى المعيار الأبتثيِّ في المراجع الحديثة.

ويُشار إلى محدوديَّة الدِّراسات البلاغيَّة في سورة "الفُرقان"؛ ممَّا مثَّل دافعًا مهمًّا لمقاربة دلالات الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في هذه السُّورة الكريمة؛ ومن أظهر الدِّراسات السَّابقة في التَّفسير، والقراءات، والحديث، والدَّلالة، والبلاغة:

١ – عبد الحافظ، صابر أحمد، (١٩٩٧م)، أسلوب القرآن في عرض صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ١٦)، (ع: ١)، (ص٣٢٤ – ٣٥٣).

٢ – الكبيسيّ، إبراهيم عبد السَّلام ياسين، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، سورة "الفُرقان"؛ دراسة وتحليل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: مشعان سعود عبد العيساويّ، بغداد: جامعة بغداد.

٣ – أبو زيد، نايل ممدوح، (٢٠٠٦م)، آيات صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"؛ دراسة بلاغيَّة، مجلَّة دراسات، علوم الشَّريعة والقانون، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، الأردن، (مج: ٣٣)، (ع: ٢)، (ص٤٥٥ – ٤٨٢).

٤ – الهلاليّ، سعيد إسماعيل، (٢٠١٤م)، من بلاغة القرآن في وصف عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، حوليَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بالزَّقازيق، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ٣٤)، (ع: ١)، (ص٤٥٧ – ٦٣٠).

٥ – عبيد، أحمد إمام عبد العزيز، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، صفات عباد الرَّحمن كما تُصوِّرها سورة "الفُرقان"؛ دراسة موضوعيَّة، مجلَّة الدِّراية، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنين بدسوق، كفر الشَّيخ، مصر، (ع: ١٥)، (ج: ٣)، (ص٣٥٥ – ٤٣٢).

٦ – أحمد، مصطفى أحمد محمَّد، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، صفات عباد الرَّحمن كما تُصوِّرها سورة "الفُرقان"؛ (دراسة موضوعيَّة)، مجلَّة الدِّراية، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنين بدسوق، كفر الشَّيخ، مصر، (ع: ١٥)، (ج: ٤)، (ص٢٥٩ – ٣٣٠).

٧ – بوزيان، كلثوم، (١٤٣٦ – ١٤٣٧هـ /٢٠١٥ – ٢٠١٦م)، صفات عباد الرَّحمن من خلال سورة "الفُرقان"؛ دراسة تحليليَّة وموضوعيَّة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: محمَّد الصَّالح غريسي، الوادي، الجزائر: جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر.

٨ – عكاشة، تماضر إبراهيم، (٢٠١٩م)، الأحاديث الواردة في تفسير القرآن العظيم لابن كثيرٍ من سورة "الفُرقان"؛ (تخريج ودراسة)، المجلَّة الدَّوليَّة للدِّراسات الإسلاميَّة المُتَخصِّصة، مركز رفاد للدِّراسات والأبحاث، إربد، الأردن، (مج: ٢)، (ع: ٢)، (ص١٤٨ – ١٦٨).

٩ – الحشاش، مصعب موسى مسلم، (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، البناء التَّربويّ وآثاره في سورة "الفُرقان"؛ (دراسة موضوعيَّة تطبيقيَّة)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم، غزَّة: الجامعة الإسلاميَّة.

١٠ – همَّام، صلاح أبو الوفا العادليّ، (يوليو، ٢٠٢١م)، اقتران المعنى بالقراءة القرآنيَّة في سورة "الفُرقان"؛ دراسة تركيبيَّة دلاليَّة من خلال تفسير "المُحَرَّر الوجيز" لابن عطيَّة (المُتَوفَّى: ٥٤٢هـ)، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مصر، (ع: ٥٣)، (ج: ١)، (ص٢٩٥ – ٣٦٠).

١١ – المُدرس، آسيا يحيى عثمان، (يونيو، ٢٠٢٢م)، صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، مجلَّة الدِّراسات العربيَّة، كُلِّيَّة دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، (مج: ٤٦)، (ع: ٥)، (ص٢١٧٧ – ٢٢١٨).

١٢ – حسن، فاطمة عيد عبد الفتَّاح، (أكتوبر، ٢٠٢٤م)، صفات عباد الرَّحمن الواردة في سورة "الفُرقان"؛ دراسة لغويَّة، مجلَّة الزَّهراء، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ٣٤)، (ع: ٢)، (هذا العدد خاصٌّ بأبحاث المؤتمر العلميِّ الدَّوليِّ الخامس: "الأخلاق وآليَّات بناء الوعي الرَّشيد")، (ص٥٤٨٥ – ٥٥٥٤).

وقد ارتكز المعمار البحثيُّ للمقاربة البلاغيَّة على المحاور الآتية:

- **المُلَخَّص.**
- **المُقَدِّمة.**
- تأسيسٌ تمهيديٌّ في المفاهيم وسورة "الفُرقان".
  - المطلب الأوَّل: تأسيسٌ تمهيديٌّ في المفاهيم.
    - الفرع الأوَّل: مفهوم الإنشاء الطَّلبيِّ لغةً.
    - الفرع الثَّاني: مفهوم الإنشاء الطَّلبيِّ اصطلاحًا.
  - المطلب الثَّاني: تأسيسٌ تمهيديٌّ في سورة "الفُرقان".
    - الفرع الأوَّل: تعريفٌ بسورة "الفُرقان".
    - الفرع الثَّاني: محاور سورة "الفُرقان".

- **المبحث الأوَّل**: الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور الألوهيَّة والقرآن والنُّبُوَّة.

– (وفيه ثلاثة مواضع).

- **المبحث الثَّاني**: الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور الإنذار والجزاء والتَّثبيت.

– (وفيه عشرون موضعًا).

- **المبحث الثَّالث**: الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور القدرة الإلهيَّة والعبوديَّة المثاليَّة.

– (وفيه ثلاثة مواضع).

- **الخاتمة**: (النَّتائج، والتَّوصيات).

وختامًا؛ فهذه محاولةٌ بحثيَّةٌ في إطار القرآن الكريم المُعْجِز بألفاظه ومعانيه، وفصاحته وبلاغته، وتشريعاته وآثاره، سعيت فيها إلى استجلاء خصوصيَّة المقاصد والمحاور والمضامين في سورة "الفُرقان"؛ بما اشتملت عليه من البراهين الدَّالَّة على وحدانيَّة الله تعالى، والبَيِّنات المُؤَكِّدة صدقيَّة القرآن الكريم والرِّسالة النَّبويَّة، والحجج الدَّاحضة لشبهات المشركِين، في ظلِّ اقترانها بإنشاء الطَّلب الفاعل في تحرير المباني من الثَّبات النَّسقيِّ، وتأطير المعاني بالتَّنوُّع الأسلوبيِّ، وتأثير الأغراض في التَّلَقِّي العقليِّ والانفعال الشُّعوريِّ.

والمُرتجَى معقودٌ بمقاربة الصَّواب في المنهج والدَّرس، على ما في الاجتهاد الإنسانيِّ من قصور الفكر المستدرك بالتَّنقيح والتَّهذيب.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]

تأسيسٌ تمهيديٌّ في المفاهيم وسورة "الفُرقان".

- المطلب الأوَّل: تأسيسٌ تمهيديٌّ في المفاهيم.

- الفرع الأوَّل: مفهوم الإنشاء الطَّلَبيِّ لغةً.

ستكون البداية برصد الدَّلالة الرَّئيسة للأصل اللُّغويِّ (نَشَأَ)؛ حيث وردت في "معجم مقاييس اللُّغة"، لابن فارسٍ (ت٣٩٥هـ)، بقوله: "(نَشَأَ): النُّون، والشِّين، والهمزة: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ وسُمُوٍّ"[(١)]، وأضاف الجوهريُّ (ت٣٩٣هـ)، في "الصِّحاح"، معنيي: الابتداء، والأوَّليَّة[(٢)]، وتوسَّع ابن منظورٍ (ت٧١١هـ)، في "لسان العرب"، بإيراده معاني: الإدراك، وانتفاء التَّكامل، والإحسان في الشِّعر والخطابة، والنُّهوض، والقيام، والابتداع، والبحث عن الأخبار وطلبها[(٣)].

وذكرت المعاجم الحديثة مدلولات: الحَدث، والتَّجدُّد، والنُّمُوِّ، والتَّولُّد، والإحداث، والإيجاد، والتَّأليف، والتَّربية، والأصل، والعِلَّة، والتَّعليم، والنَّسل[(٤)]، فضلًا عن: إقامة

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريَّا، (ت٣٩٥هـ)، (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، مادَّة (نَشَأَ).

(٢) يُنظَر: الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد، (ت٣٩٣هـ)، (١٩٩٠م)، الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، مادَّة (نَشَأَ).

(٣) يُنظَر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، (د. ت)، لسان العرب، (ط١)، بيروت: دار صادر، مادَّة (نَشَأَ)؛ ويُنظَر: الفيروزآباديّ، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، (د. ت)، القاموس المحيط، (د. ط)، القاهرة: دار الحديث، مادَّة (نَشَأَ)؛ ويُنظَر: الزَّبِيديّ، محمَّد مرتضى، (ت١٢٠٥هـ)، (١٩٧٤م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، (د. ط)، الكويت: وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت، مادَّة (نَشَأَ).

(٤) يُنظَر: أنيس، إبراهيم وآخرون، (١٩٧٢م)، المعجم الوسيط، (ط٢)، القاهرة: دار المعارف، مادَّة (نَشَأَ).

الشَّيء، وصياغة المكتوب، والشُّروع، والتَّهذيب، وحداثة العهد[١].

أمَّا بشأن الجذر اللُّغويِّ (طَلَبَ)؛ فقد جاء في "معجم مقاييس اللُّغة": "(طَلَبَ): الطَّاء، واللَّام، والباء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ابتغاء الشَّيء"[٢]، واستكمل صاحب "اللِّسان" تتبُّع الإيحاءات الدَّلاليَّة الكامنة في مشتقَّاته؛ من قبيل: تحصيل الشَّيء، والحقِّ المطلوب، والرَّغبة في الأمر، وإنجاز الحاجة، والإعانة، والاتِّباع[٣].

ورسَّخت المعاجم الحديثة دلالات: إدراك المطلوب، والتماسه، وإرادته، وسؤاله، والاحتياج للأمر، والمقصد، والمبحث[٤]، بالإضافة إلى: الشَّيء الَّذي لا غنى عنه، واستعجال المُتَأخِّر، والمسألة العلميَّة، وإثبات المطلوب[٥].

- الفرع الثَّاني: مفهوم الإنشاء الطَّلبيِّ اصطلاحاً.

يندرج "الإنشاء" ضمن "علم المعاني": وهو "تتبُّع خواصِّ تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتَّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليُحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام، على ما يقتضي الحال ذكره"[٦]، وهو، أيضًا، "علمٌ يُعرف به أحوال

---

(١) يُنظَر: عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، (ط١)، القاهرة: عالم الكتب، (٣: ٢٢٠٨)، (٥١١٨ – نَشَأَ).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، مادَّة (طَلَبَ)؛ ويُنظَر: الجوهريّ، الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، مادَّة (طَلَبَ).

(٣) يُنظَر: ابن منظور، لسان العرب، مادَّة (طَلَبَ)؛ ويُنظَر: الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، مادَّة (طَلَبَ).

(٤) يُنظَر: أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادَّة (طَلَبَ).

(٥) يُنظَر: عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، (٢: ١٤٠٧، ١٤٠٨)، (٣٢٢٢ – طَلَبَ).

(٦) السَّكَّاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمَّد بن عليّ الخوارزميّ الحنفيّ، (ت٦٢٦هـ)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص١٦١)، (– القسم الثَّالث: في علمي المعاني والبيان/ – المُقَدِّمة/ – علم المعاني).

اللَّفظ العربيِّ الَّتي بها يطابق مقتضى الحال"[١]، [٢].

---

(١) الخطيب القَزوينيّ، جلال الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد بن محمَّد، (ت٧٣٩هـ)، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدِّين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص٢٣)، (- علم المعاني).

(٢) لمطالعة مفهوم "علم المعاني"؛ يُنظَر في المصادر القديمة الآتية: السَّكَّاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمَّد بن عليّ الخوارزميّ الحنفيّ، (ت٦٢٦هـ)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص١٦١، ١٦٢)، (- القسم الثَّالث: في علمي المعاني والبيان/ - المُقدِّمة/ - علم المعاني)؛ ويُنظَر: الخطيب القَزوينيّ، جلال الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد بن محمَّد، (ت٧٣٩هـ)، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدِّين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص٢٣، ٢٤)، (- الفنّ الأوَّل: علم المعاني)؛ ويُنظَر: الجُرجانيّ، (ت٨١٦هـ)، معجم التَّعريفات، (ص١٣١)، (- باب العين/ - العين مع اللَّام/ ١٢٣٩ - علم المعاني)؛ ويُنظَر في المراجع الحديثة الآتية: التّونجيّ، محمَّد، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، الجامع في علوم البلاغة؛ المعاني - البيان - البديع، (ط١)، وهران، الجزائر: دار العزَّة والكرامة للكتاب، (ص٣٧)، (- الفصل الثَّاني: علم المعاني/ - علم المعاني)؛ ويُنظَر: الجارم، علي، وأمين، مصطفى، (١٩٩٩م)، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، (د. ط)، القاهرة: دار المعارف، (باتِّفاقٍ خاصٍّ مع النَّاشر ماكميلان وشركاه بلندن)، (ص٢٥٨ - ٢٦٢)، (- أثر علم المعاني في بلاغة الكلام)؛ (ص٢٦٣)، (- علم البديع/ - خلاصة مفهوم علم المعاني)؛ ويُنظَر: أبو زيد، كريمة محمود، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، علم المعاني؛ دراسة وتحليل، (ط١)، عابدين، القاهرة: مكتبة وهبة، ودار التَّوفيق النَّموذجيَّة للطِّباعة والجمع الآليّ، (ص٣٥، ٣٦)، (- الباب الثَّاني: علم المعاني/ - علم المعاني: تعريفه، أبوابه)؛ ويُنظَر: طَبانة، بدويّ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، معجم البلاغة العربيَّة، (ط٣)، جدَّة: دار المنارة للنَّشر والتَّوزيع، والرِّياض: دار الرِّفاعيّ للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، (ص٤٥٣، ٤٥٤)، (- باب العين/ ٥٧٠ - المعاني = علم المعاني)؛ ويُنظَر: عبد الغنيّ، أيمن أمين، (٢٠١١م)، الكافي في البلاغة؛ البيان والبديع والمعاني، (د. ط)، القاهرة: دار التَّوفيقيَّة للتُّراث والطَّبع والنَّشر والتَّوزيع، ←←←

وتوقَّف السَّكَّاكيُّ (ت٦٢٦هـ) عند معيار المميزة بين "الخبر" و"الطَّلب"، بقوله: ""الخبر" و"الطَّلب" بعد افتراقهما بحقيقتهما، يفترقان باللَّازم المشهور؛ وهو احتمال الصِّدق والكذب"[١]، وأوضح الخطيب القَزوينيُّ (ت٧٣٩هـ) ما سبق، قائلًا: "ووجه الحصر: أنَّ الكلام إمَّا خبرٌ أو إنشاءٌ؛ لأنَّه إمَّا أن يكون لنسبته خارجٌ تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارجٌ؛ الأوَّل: الخبر، والثَّاني: الإنشاء"[٢].

وبناءً على ذلك؛ فإنَّ "الإنشاء: قد يُقال على الكلام الَّذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أو لا تطابقه، وقد يُقال على فعل المُتكلِّم؛ أعني إلقاء الكلام الإنشائيِّ،

→→→

(ص٣٢٧)، (- الباب الرَّابع: علم المعاني/ - تعريف علم المعاني)؛ ويُنظَر: عتيق، عبد العزيز، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ط١)، بيروت: دار النَّهضة العربيَّة، (ص٢٥ - ٣٣)، (- الفصل الثَّاني: علم المعاني؛ نشأته وتطوُّره)؛ (ص٣٥ - ٤١)، (- الفصل الثَّالث: علم المعاني وأثره في بلاغة الكلام)؛ ويُنظَر: عكَّاويّ، إنعام فوَّال، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، المعجم المُفَصَّل في علوم البلاغة؛ البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدِّين، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص٦٠٧)، (- باب العين/ - علم المعاني)؛ ويُنظَر: الفيل، توفيق، (١٩٩١م)، بلاغة التَّراكيب؛ دراسة في علم المعاني، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الآداب، (ص٧ - ١٢)، (- تمهيد في بيان ماهيَّة علم المعاني ومجالات البحث فيه)؛ ويُنظَر: مطلوب، أحمد، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، (ط١)، بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات، (٣: ٢٧٦ - ٢٨٠)، (- الميم/ - المعاني)؛ ويُنظَر: الهاشميّ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، (د. ت)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصّميليّ، (د. ط)، صيدا، وبيروت: المكتبة العصريَّة، (ص٤٦ - ٥١)، (- علم المعاني).

(١) السَّكَّاكيّ، مفتاح العلوم، (ص١٦٥)، (- القسم الثَّالث: في علمي المعاني والبيان/ - الفصل الأوَّل: في ضبط معاقد علم المعاني والكلام عليه/ - آراء العلماء في الخبر والطَّلب).

(٢) الخطيب القَزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، (ص٢٤)، (- الفنّ الأوَّل: علم المعاني).

والإنشاء، أيضًا: إيجاد الشَّيء الَّذي يكون مسبوقًا بمادَّةٍ ومدَّةٍ"[١]، وهو، بإيجازٍ، "كلُّ كلامٍ لا يحتمل الصِّدق والكذب لذاته؛ لأنَّه ليس لمدلول لفظه قبل النُّطق به واقعٌ خارجيٌّ يطابقه أو لا يطابقه"[٢]، [٣].

و"الإنشاء الطَّلبيُّ": هو الَّذي "يستدعي مطلوبًا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه ألَّا يكون حاصلًا وقت الطَّلب"[٤]؛ فهو ما "يستدعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقت

---

(١) الجُرجانيّ، معجم التَّعريفات، (ص٣٥)، (- باب الألف/ - الألف مع النُّون/ ٢٩٧ - الإنشاء).

(٢) مطلوب، أحمد، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، (ط١)، بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات، (١: ٣٣٢)، (- الهمزة/ - الإنشاء).

(٣) لاستجلاء مفهوم "الإنشاء"؛ يُنظَر في المراجع الحديثة الآتية: التّونجيّ، الجامع في علوم البلاغة؛ المعاني - البيان - البديع، (ص٤٩)، (- الفصل الثَّاني: علم المعاني/ - تقسيم الجمل إلى خبريَّةٍ وإنشائيَّةٍ/ - الجملة الإنشائيَّة)؛ ويُنظَر: الجارم، وأمين، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، (ص١٣٩)، (- علم المعاني/ - تقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ/ - القواعد/ ب - الإنشاء)؛ ويُنظَر: أبو زيد، علم المعاني؛ دراسة وتحليل، (ص٣٧)، (- الباب الثَّاني: علم المعاني/ - تقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ)؛ ويُنظَر: طَبانة، معجم البلاغة العربيَّة، (ص٦٦٥)، (- باب النُّون/ ٨٣٣ - الإنشاء)؛ ويُنظَر: عبد الغنيّ، الكافي في البلاغة؛ البيان والبديع والمعاني، (ص٣٣٠)، (- الباب الرَّابع: علم المعاني/ - الأسلوب الخبريّ والإنشائيّ/ - ثانيًا: الأسلوب الإنشائيّ)؛ ويُنظَر: عتيق، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ص٦٩، ٧٠)، (- الفصل الثَّاني: علم المعاني؛ نشأته وتطوُّره/ - المبحث الأوَّل: الكلام بين الخبر والإنشاء/ - الإنشاء/ - مُقدِّمة)؛ ويُنظَر: عكَّاويّ، المعجم المُفصَّل في علوم البلاغة؛ البديع والبيان والمعاني، (ص٢٣٦)، (- باب الألف/ - الإنشاء)؛ ويُنظَر: الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص٦٩)، (- علم المعاني/ - الباب الثَّاني: في حقيقة الإنشاء وتقسيمه).

(٤) السَّكَّاكيّ، مفتاح العلوم، (ص٣٠٢)، (- القسم الثَّالث: في علمي المعاني والبيان/ - القانون الثَّاني من علم المعاني وهو قانون الطَّلب/ - مُقدِّمة).

الطَّلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"[1]؛ ولذلك "قيل: إنَّ الإنشاء الطَّلبيَّ: هو ما يتأخَّر وجود معناه عن وجود لفظه، أو ما يسبق وجود لفظه على وجود معناه"[2]، [3].

وأهمُّ الأنواع الإنشائيَّة الطَّلبيَّة "خمسةٌ: "الأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمنِّي، والنِّداء"؛ نقول ذلك لأنَّ من أنواع الإنشاء الطَّلبيِّ، أيضًا، "العرض، والتَّحضيض"، ولكنَّ الأنواع الخمسة الأولى أكثر استعمالًا وحملًا لشتَّى الدَّلالات واللَّطائف

---

(١) الخطيب القَزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، (ص١٠٨)، (- علم المعاني/ - القول في الإنشاء).

(٢) عتيق، عبد العزيز، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ط١)، بيروت: دار النَّهضة العربيَّة، (ص٧٤)، (- الفصل الثَّالث: علم المعاني وأثره في بلاغة الكلام/ - المبحث الأوَّل: الكلام بين الخبر والإنشاء/ - الإنشاء/ - أقسام الإنشاء/ - الإنشاء الطَّلبيّ).

(٣) لمقاربة مفهوم "الإنشاء الطَّلبيِّ"؛ يُنظَر في المراجع الحديثة الآتية: التّونجيّ، الجامع في علوم البلاغة؛ المعاني - البيان - البديع، (ص٤٩، ٥٠)، (- الفصل الثَّاني: علم المعاني/ - تقسيم الجمل إلى خبريَّةٍ وإنشائيَّةٍ/ - الجملة الإنشائيَّة/ - نوعا الجملة الإنشائيَّة/ أ - الإنشاء الطَّلبيّ)؛ ويُنظَر: الجارم، وأمين، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، (ص١٧٠)، (- علم المعاني/ - تقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ/ - الإنشاء/ - تقسيمه إلى طلبيٍّ وغير طلبيٍّ/ - القاعدة/ أ - الإنشاء الطَّلبيّ)؛ ويُنظَر: أبو زيد، علم المعاني؛ دراسة وتحليل، (ص٣٧)، (- الباب الثَّاني: علم المعاني/ - تقسيم الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ)؛ ويُنظَر: طَبانة، معجم البلاغة العربيَّة، (ص٣٨٢)، (- باب الطَّاء/ ٤٧٩ - الطَّلبيّ)؛ ويُنظَر: عبد الغنيّ، الكافي في البلاغة؛ البيان والبديع والمعاني، (ص٣٣٠)، (- الباب الرَّابع: علم المعاني/ - الأسلوب الخبريّ والإنشائيّ/ - ثانيًا: الأسلوب الإنشائيّ/ - أنواع الأسلوب الإنشائيّ/ ١ - طلبيّ)؛ ويُنظَر: عكَّاويّ، المعجم المُفَصَّل في علوم البلاغة؛ البديع والبيان والمعاني، (ص٢٣٦)، (- باب الألف/ - الإنشاء/ - الإنشاء الطَّلبيّ)؛ ويُنظَر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، (١: ٣٣٢)، (- الهمزة/ - الإنشاء/ - الإنشاء الطَّلبيّ)؛ ويُنظَر: الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص٧٠)، (- علم المعاني/ - الباب الثَّاني: في حقيقة الإنشاء وتقسيمه/ - الإنشاء الطَّلبيّ).

البلاغيَّة"[١]، وهذه "هي الموضوعات الَّتي تحدَّث عنها البلاغيُّون في مبحث الإنشاء؛ لأنَّها تتفاوت في التَّعبير؛ وتخرج عن الأغراض الحقيقيَّة؛ وتُؤدِّي معاني جديدة للأديب فيها تصرُّفٌ كبيرٌ"[٢].

وتكفينا الإشارة السَّابقة لأهمِّ أساليب إنشاء الطَّلب عن توضيح مفاهيمها المُفَصَّلة في اللُّغة والاصطلاح، الَّتي عُولجت في كثيرٍ من الأبحاث العلميَّة، والرَّسائل والأطاريح الجامعيَّة، مع إمكانيَّة استجلائها في المصادر والمراجع اللُّغويَّة والبلاغيَّة المُتَخصِّصة[٣].

---

(١) عتيق، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ص٧٤، ٧٥).

(٢) مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، (١: ٣٣٢).

(٣) للتَّبصُّر في "الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة"؛ يُنظَر في المصدرين الآتيين: السَّكَّاكيّ، (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، (ص٣٠٢ – ٣٢٨)، (– القسم الثَّالث: في علمي المعاني والبيان/ – القانون الثَّاني من علم المعاني وهو قانون الطَّلب/ – مُقَدِّمة/ – الباب الأوَّل: في التَّمنِّي/ – الباب الثَّاني: في الاستفهام/ – الباب الثَّالث: في الأمر/ – الباب الرَّابع: في النَّهي/ – الباب الخامس: في النِّداء)؛ ويُنظَر: الخطيب القَزوينيّ، (ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، (ص١٠٨ – ١١٨)، (– الفنّ الأوَّل: علم المعاني/ – القول في الإنشاء)؛ ويُنظَر في المراجع الحديثة الآتية: التّونجيّ، الجامع في علوم البلاغة؛ المعاني – البيان – البديع، (ص٥٠ – ٦٦)، (– الفصل الثَّاني: علم المعاني/ – تقسيم الجمل إلى خبريَّةٍ وإنشائيَّةٍ/ – الجملة الإنشائيَّة/ – نوعا الجملة الإنشائيَّة/ أ – الإنشاء الطَّلبيّ/ ١ – الأمر/ ٢ – النَّهي/ ٣ – الاستفهام/ ٤ – التَّمنِّي/ ٥ – التَّرجِّي/ ٦ – النِّداء)؛ ويُنظَر: الجارم، وأمين، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، (ص١٧٦ – ٢١٥)، (– علم المعاني/ – الإنشاء الطَّلبيّ وأقسامه/ ١ – الأمر/ ٢ – النَّهي/ ٣ – الاستفهام وأدواته/ ٤ – التَّمنِّي/ ٥ – النِّداء)؛ ويُنظَر: شيخ أمين، بكريّ، (تشرين الأوَّل، أكتوبر، ١٩٩٩م)، البلاغة العربيَّة في ثوبها الجديد؛ الجزء الأوَّل: علم المعاني، (ط٦)، بيروت: دار العلم للملايين، (ص٧٦ – ١١٠)، (– علم المعاني/ – أقسام الإنشاء/ – أقسام الإنشاء الطَّلبيّ/ ١ – التَّمنِّي/ ٢ – الاستفهام/ ٣ – الأمر/ ٤ – ←←←

←←←

النَّهي/ ٥ – النِّداء)؛ ويُنظَر: طبل، حسن، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، علم المعاني في الموروث البلاغيّ؛ تأصيل وتقييم، (ط٢)، المنصورة: مكتبة الإيمان، (ص٦٢ – ٩٨)، (– القسم الثَّاني: حول أبرز مجالات البحث/ – أَوَّلًا: القالب النَّحْويّ للأسلوب "الخبر والإنشاء"/ ب – أساليب الإنشاء/ – أَوَّلًا: الأمر/ – ثانيًا: النَّهي/ – ثالثًا: الاستفهام/ – رابعًا: التَّمنِّي/ – خامسًا: النِّداء)؛ ويُنظَر: العاكوب، عيسى عليّ، والشّتيويّ، عليّ سعد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، الكافي في علوم البلاغة العربيَّة؛ المعاني – البيان – البديع، (ط١)، طرابلس، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة، (ص٢٥٠ – ٢٩٣)، (– المبحث السَّادس: الأساليب الإنشائيَّة/ – الإنشاء الطَّلبيّ وأنواعه/ ١ – مبحث الأمر/ ٢ – مبحث النَّهي/ ٣ – مبحث الاستفهام/ ٤ – مبحث التَّمنِّي/ ٥ – مبحث النِّداء)؛ ويُنظَر: العاكوب، عيسى عليّ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، المُفَصَّل في علوم البلاغة العربيَّة؛ المعاني – البيان – البديع، (د. ط)، حلب: منشورات جامعة حلب، كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة، (ص٢٤٩ – ٢٩٣)، (– المبحث السَّادس: الأساليب الإنشائيَّة/ – الإنشاء الطَّلبيّ وأنواعه/ ١ – مبحث الأمر/ ٢ – مبحث النَّهي/ ٣ – مبحث الاستفهام/ ٤ – مبحث التَّمنِّي/ ٥ – مبحث النِّداء)؛ ويُنظَر: عبد الغنيّ، الكافي في البلاغة؛ البيان والبديع والمعاني، (ص٣٣١ – ٣٦٣)، (– الباب الرَّابع: علم المعاني/ – الأسلوب الخبريّ والإنشائيّ/ – ثانيًا: الأسلوب الإنشائيّ/ – أنواع الأسلوب الإنشائيّ/ – الإنشاء الطَّلبيّ/ – الأمر/ – النَّهي/ – الاستفهام/ – التَّمنِّي/ – النِّداء)؛ ويُنظَر: عتيق، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ص٧٤ – ١١٨)، (– الفصل الثَّالث: علم المعاني وأثره في بلاغة الكلام/ – المبحث الأوَّل: الكلام بين الخبر والإنشاء/ – أقسام الإنشاء/ – الإنشاء الطَّلبيّ/ – أَوَّلًا: الأمر/ – ثانيًا: النَّهي/ – ثالثًا: الاستفهام/ – رابعًا: التَّمنِّي/ – خامسًا: النِّداء)؛ ويُنظَر: عطويّ، رفيق خليل، (حزيران، يونيو، ١٩٨٩م)، صناعة الكتابة؛ علم البيان، علم المعاني، علم البديع، (ط١)، بيروت: دار العلم للملايين، (ص٧٠ – ٧٣)، (– الباب الثَّاني: علم المعاني/ – أنواع الإنشاء/ أ – الإنشاء الطَّلبيّ/ ١ – الدُّعاء والتَّمنِّي/ ٢ – الاستفهام/ ٣ – الأمر/ ٤ – النَّهي/ ٥ – النِّداء)؛ ويُنظَر: الفيل، بلاغة التَّراكيب؛ دراسة في علم المعاني، (ص١٩٧ – ٢١٧)، (– الإنشاء/ – الإنشاء الطَّلبيّ/ – أنواعه/ ١ – التَّمنِّي/ ٢ – الاستفهام/ ٣ – الأمر/ ٤ – النَّهي/ ٥ – النِّداء)؛ ويُنظَر: قاسم، محمَّد أحمد، وديب، محيي

←←←

←←←

الدِّين، (٢٠٠٣م)، علوم البلاغة؛ (البديع والبيان والمعاني)، (ط١)، طرابلس، لبنان: المؤسَّسة الحديثة للكتاب، (ص٢٨٣ – ٣٠٩)، (– ثالثًا: علم المعاني/ – الباب الثَّاني: الإنشاء وأقسامه/ أ – الإنشاء الطَّلبيّ/ ١ – الأمر/ ٢ – النَّهي/ ٣ – الاستفهام/ ٤ – التَّمنِّي/ ٥ – النِّداء)؛ ويُنظَر: اللَّادقيّ، محمَّد طاهر، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، المُبَسَّط في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع؛ نماذج تطبيقيَّة، (د. ط)، صيدا، وبيروت: المكتبة العصريَّة، (ص٥١ – ٨٩)، (– علم المعاني/ – الإنشاء الطَّلبيّ/ – الأمر وصيغه/ – النَّهي وصيغه ومعانيه/ – الاستفهام وأدواته ومعانيه/ – التَّمنِّي/ – النِّداء)؛ ويُنظَر: المراغيّ، أحمد مصطفى، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، علوم البلاغة؛ البيان والمعاني والبديع، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (ص٦١ – ٨٤)، (– علم المعاني/ – الباب الثَّاني: الإنشاء/ – المبحث الأوَّل: في تعريف الإنشاء/ – المبحث الثَّاني: في التَّمنِّي/ – المبحث الثَّالث: في الاستفهام/ – المبحث الرَّابع: في الأمر/ – المبحث الخامس: في النَّهي/ – المبحث السَّادس: في النِّداء)؛ ويُنظَر: الميدانيّ، عبد الرَّحمن حسن حَبَنَّكة، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، البلاغة العربيَّة؛ أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكلٍ جديدٍ من طريفٍ وتليدٍ، (ط١)، دمشق: دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، وبيروت: الدَّار الشَّاميَّة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، (١: ٢٢٨ – ٣٠٣)، (– علم المعاني/ – الباب الأوَّل: مدخل إلى علم المعاني/ – الفصل الرَّابع: الجملة الإنشائيَّة وأقسامها/ – المقولة الثَّانية: شرح الإنشاء الطَّلبيّ/ – النَّوع الأوَّل: الأمر والنَّهي/ – النَّوع الثَّاني: التَّحذير والإغراء/ – النَّوع الثَّالث: النِّداء/ – النَّوع الرَّابع: التَّمنِّي والتَّرجِّي/ – النَّوع الخامس: الدُّعاء/ – النَّوع السَّادس: الاستفهام)؛ ويُنظَر: الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص٧١ – ٩٧)، (– علم المعاني/ – في حقيقة الإنشاء وتقسيمه/ – في الأمر/ – في النَّهي/ – في الاستفهام/ – في التَّمنِّي/ – في النِّداء).

- المطلب الثَّاني: تأسيسٌ تمهيديٌّ في سورة "الفُرقان".

- الفرع الأوَّل: تعريفٌ بسورة "الفُرقان".

سورة "الفُرقان" "سبعٌ وسبعون آيةً مكِّيَّةً"[1]، وهي "مكِّيَّةٌ كلُّها في قول الجمهور...؛ ومقصود هذه السُّورة: ذكر موضع عِظَم القرآن، وذكر مطاعن الكُفَّار في النُّبُوَّة، والرَّدُّ على مقالاتهم وجهالاتهم"[2]، وقد "سُمِّيت هذه السُّورة سورة "الفُرقان" في عهد النَّبيِّ ﷺ، وبمسمعٍ منه...، ووجه تسميتها سورة "الفُرقان"؛ لوقوع لفظ "الفُرقان" فيها ثلاث مرَّاتٍ؛ في أوَّلها، ووسطها، وآخرها"[3]، وأغراض السُّورة الكريمة "شاهدةٌ بأنَّها مَكِّيَّةٌ. وهي السُّورة الثَّانية والأربعون في ترتيب النُّزول، نزلت بعد سورة "يس"، وقبل سورة "فاطر""[4].

وكان نزول هذه السُّورة الكريمة في السَّنة العاشرة من البعثة، وهي من السُّور الَّتي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، وهذه فترةٌ تميَّزت بقسوة مشركي مكَّة، وعنفهم، ورغبتهم في القضاء على الدَّعوة، بكلِّ سبيلٍ؛ ولذلك تبدو سورة "الفُرقان"

---

(١) الرَّازيّ، أبو عبد الله فخر الدِّين محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت٦٠٦هـ)، (١٤٢٠هـ)، التَّفسير الكبير = مفاتيح الغيب، تح: مكتب تحقيق دار إحياء التُّراث العربيّ، (ط٣)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، (٢٤: ٤٢٨).

(٢) القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ، (ت٦٧١هـ)، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصريَّة، (١٣: ١).

(٣) ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر، (ت١٣٩٣هـ)، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (د. ط)، تونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، (١٨: ٣١٣).

(٤) نفسه، (١٨: ٣١٤).

وكأنَّها إيناسٌ لرسول الله ﷺ، وتسريةٌ له، وتطمينٌ، وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم، وتعنُّتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم في وجه الهدى(١).

والقصد من هذه السُّورة الكريمة "بيان الغرض من نزول القرآن؛ وهو أن يكون نذيرًا للعالمِين؛ والكلام فيها على هذا الغرض ينقسم إلى قسمين: أوَّلهما في دفع ما أوردوه عليه من شُبَهٍ وتأييده بما وقع قبله من النُّذُر الأولى، وثانيهما في بيان عدم تأثُّرهم بذلك؛ لتكبُّرهم وجهلهم"(٢).

- **الفرع الثَّاني: محاور سورة "الفُرقان"**.

قامت سورة "الفُرقان" على ثلاث دعائم؛ هي:

"- **الأولى**: إثبات أنَّ القرآن مُنَزَّلٌ من عند اللَّه، والتَّنويه بالرَّسول المُنَزَّل عليه ﷺ، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدُّنيا، وأنَّه على طريقة غيره من الرُّسل عليهم السَّلام، ومن ذلك تلقِّي قومه دعوته بالتَّكذيب.

- **الدِّعامة الثَّانية**: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتَّبشير بالثَّواب فيها للصَّالحِين، وإنذار المشركِين بسوء حظِّهم يومئذٍ، وتكون لهم النَّدامة على تكذيبهم الرَّسول ﷺ، وعلى إشراكهم، واتِّباع أئمَّة كفرهم.

- **الدِّعامة الثَّالثة**: الاستدلال على وحدانيَّة اللَّه، وتفرُّده بالخلق، وتنزيهه عن أن

---

(١) شرف الدِّين، جعفر، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، الموسوعة القرآنيَّة؛ خصائص السُّور، تح: عبد العزيز بن عثمان التّويجريّ، (ط١)، بيروت: دار التَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، (٦: ١٠٥)، (٢٥ – سورة "الفُرقان"/ – المبحث الأوَّل: أهداف سورة "الفُرقان")، (بتصرُّفٍ).

(٢) الصّعيديّ، عبد المتعال، (د. ت)، النَّظم الفنِّيّ في القرآن، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الآداب، (ص٢١٧)، (– سورة "الفُرقان"/ – الغرض منها وترتيبها)؛ ويُنظَر: شرف الدِّين، الموسوعة القرآنيَّة؛ خصائص السُّور، (٦: ١١١)، (٢٥ – سورة "الفُرقان"/ –المبحث الثَّاني: ترابط الآيات في سورة "الفُرقان"/ – الغرض منها وترتيبها).

يكون له ولدٌ أو شريكٌ، وإبطال إلهيَّة الأصنام، وإبطال ما زعموه من بُنُوَّة الملائكة للَّه تعالى. وافتُتحت في آيات كلِّ دعامةٍ من هذه الثَّلاث بجملة: (تَبَارَكَ الَّذِي...)"[1].

وقد "تنوَّعت جوانب هذه السُّورة وتعدَّدت، لكنَّها، في جملتها، كانت مؤازرةً لرسول الله ﷺ؛ تمنحه الثِّقة والاطمئنان، وتفضح شبهات المشركِين، وتدافع عن الدَّعوة والدَّاعية بالعديد من السُّبُل؛ فهي، في لمحةٍ منها، تُصوِّر الإيناس اللَّطيف الَّذي يحيط به الله عبده ورسوله ﷺ، وكأنَّما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحًا رفيقًا، ويفيض عليه بالرِّعاية واللُّطف والمودَّة؛ وهي، في لمحةٍ، تُصوِّر المعركة العنيفة مع البشريَّة الضَّالَّة الجاحدة، المشاقَّة لله ورسوله ﷺ، وتجادل في عنفٍ، وتتعنَّت في عنادٍ، وتجنح عن الهدى الواضح المبين"[2].

ويمكننا استجلاء المضامين التَّفصيليَّة، للمحاور الأساسيَّة، في السُّورة الكريمة؛ من خلال الاطِّلاع على بعض التَّفاسير التَّحليليَّة والإجماليَّة[3]؛ أمَّا الدَّرس الوصفيُّ التَّحليليُّ اللَّاحق؛ فسيكون في نطاق استقراء التَّفاسير القرآنيَّة، الَّتي قاربت اللَّطائف البلاغيَّة في سورة "الفُرقان".

---

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣١٤).

(٢) شرف الدِّين، الموسوعة القرآنيَّة؛ خصائص السُّور، (٦: ١٠٥، ١٠٦)، (٢٥ – سورة "الفُرقان"/ – المبحث الأوَّل: أهداف سورة "الفُرقان"/ – سورة تشدُّ أزر الرَّسول ﷺ).

(٣) يُنظَر: الطَّبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، تفسير الطَّبريِّ = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات الإسلاميَّة بدار هجر، (ط١)، القاهرة: دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، (١٧: ٣٩٤ – ٥٤١)، (– تفسير سورة "الفُرقان")؛ ويُنظَر: العثيمين، الشَّيخ محمَّد بن صالح، (ت١٤٢١هـ)، (١٤٣٦هـ)، تفسير القرآن الكريم؛ سورة الفُرقان، (ط١)، القصيم، السُّعوديَّة: مؤسَّسة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين الخيريَّة، (ص١١ – ٣٥١)؛ ويُنظَر: نخبة من العلماء، (١٤٤١هـ)، المختصر في تفسير القرآن الكريم، (ط٦)، مكَّة المكرَّمة: دار المختصر للنَّشر والتَّوزيع، (ص٣٥٩ – ٣٦٦)، (– سورة "الفُرقان").

المبحث الأوَّل

الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور الألوهيَّة والقرآن والنُّبُوَّة.

شمل المحور الأوَّل لسورة "الفُرقان" الآيات الكريمة: (من الآية الأولى، إلى الآية التَّاسعة)، واحتوى على مضامين: (الألوهيَّة الحقَّة، والقرآن الكريم، والنُّبُوَّة الشَّريفة)، وظهرت، في هذا المحور، أساليب: (الأمر، والاستفهام، والتَّحضيض)، واختفت أساليب: (النَّهي، والنِّداء، والتَّمنِّي)؛ وسنقف على الأساليب الظَّاهرة في المواضع الآتية:

- الموضع الأوَّل: انفراد الأمر.

- قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾

ورد فعل الأمر للنَّبيِّ ﷺ، في مطلع هذه الآية الكريمة؛ على الوجه الحقيقيِّ الموحي بالتَّكليف والإلزام، عبر إطلاق الخطاب الَّذي يُؤكِّد نزول القرآن الكريم من الله عزَّ وجلَّ، وهو الَّذي يعلم خفايا الكون كلِّه، وكان ذلك عقب افتراءات الكُفَّار بشأن القرآن الكريم؛ فتجلَّى، في مضمون المقول، إيحاءٌ مُبَطَّنٌ بالتَّنبيه، والإيقاظ، والتَّحذير، والوعيد، فضلًا عن إمهال الله تعالى للكُفَّار المكابرِين مع استحقاقهم العقاب[1]؛ وذلك "ليُرجِّي كُلَّ سامعٍ في عفوه ورحمته، مع التَّوبة والإنابة"[2].

---

(١) يُنظَر: الزَّمخشريّ، محمود بن عمر بن أحمد، (ت٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، (ط٣)، القاهرة: دار الرَّيَّان للتُّراث، وبيروت: دار الكتاب العربيّ، (٣: ٢٦٥).

(٢) ابن عطيَّة، أبو محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام الأندلسيّ، (ت٥٤٢هـ)، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي ←←←

وجاء فعل الأمر في إطار حسم المحاججة مع الكافرِين؛ لإثبات كون الوحي من كلام الله عزَّ وجلَّ؛ ولتبرئة الرَّسول ﷺ من اتِّهاماتهم(١)، وقد يُفهم هذا الرَّدُّ الحاسم على جهة الخطاب المُفحِم للكافرِين؛ بما يحمله من إشارات التَّوبيخ والتَّعنيف(٢).

وأتى هذا الأسلوب، هنا، "ردًّا عليهم، وتحقيقًا للحقِّ"(٣)؛ بإقامة الحُجَّة عليهم في إنزال القرآن الكريم من الله العليم بكلِّ شيءٍ؛ وفي هذا دفعٌ لإنكارهم القرآن الكريم، وتنبيهٌ وحضٌّ على تدبُّره؛ للاستدلال بذلك على أنَّه لا يكون إلَّا من عالم الغيب والشَّهادة(٤).

←←←

محمَّد، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلميَّة، (٤: ٢٠٠)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، محمَّد بن يوسف، (ت٧٤٥هـ)، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، البحر المحيط في التَّفسير، تح: صدقي محمَّد جميل العطَّار، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسُونة، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، (٨: ٨٣)؛ ويُنظَر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ الدِّمشقيّ، (ت٧٧٤هـ)، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمَّد السَّلامة، (ط٢)، الرِّياض: دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، (٦: ٩٤).

(١) يُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٣٤).

(٢) يُنظَر: البيضاويّ، ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازيّ، (ت٦٩١هـ)، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، تح: محمَّد عبد الرَّحمن المرعشليّ، (ط١)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، (٤: ١١٨).

(٣) أبو السُّعود، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى العماديّ، (ت٩٨٢هـ)، (د. ت)، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، (٦: ٢٠٣).

(٤) يُنظَر: السَّعديّ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت١٣٧٦هـ)، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، تح: عبد الرَّحمن بن معلَّا اللّويحق، (ط١)، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، (ص٥٧٨).

وقد لقَّن اللَّه تعالى رسوله ﷺ الجواب؛ لردِّ بهتان الكافرين حول القرآن الكريم؛ بأنَّه تعالى أنزله على رسوله ﷺ؛ وفي ذلك كنايةٌ عن مراقبته اللَّه تعالى فيما يُبلِّغه عنه؛ وفيه، أيضًا، إيقاظٌ لهم بأن يتدبَّروا في هذا الَّذي زعموه إفكًا أو أساطير الأوَّلين؛ ليظهر لهم اشتماله على الحقائق النَّاصعة الَّتي لا يحيط بها إلَّا اللَّه الَّذي يعلم السِّرَّ؛ وليعلموا براءة الرَّسول ﷺ من الاستعانة بمَن زعموهم يعينونه(١).

وحمل الأمر، بذلك، القول الدَّاحض لشبهات المشركين بشأن القرآن الكريم؛ ومفاده: "أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأوَّلين والآخرين بصدقٍ مطابقٍ للواقع الله الَّذي يعلم غيب السَّماوات والأرض، ويعلم السَّرائر كعلمه بالظَّواهر"(٢)، ولا شكَّ في "أنَّ القرآن مشتملٌ على الإخبار عن المغيبات؛ وذلك لا يتأتَّى إلَّا من كامل العلم، وأنَّ القرآن مُبَرَّأٌ عن النَّقص والتَّعارض؛ وذلك لا يتأتَّى إلَّا من العالم بكلِّ المعلومات"(٣).

- الموضع الثَّاني: اجتماع الاستفهام والتَّحضيض المتواتر.

- قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ﴾

وقعت "اللَّام" "في المصحف مفصولةً عن "هَذَا" خارجةً عن أوضاع الخطِّ العربيِّ، وخطُّ

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٢٥، ٣٢٦)، (بتصرُّفٍ).

(٢) الزُّحيليّ، وهبة، (ت١٤٣٦هـ)، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (ط١)، دمشق: دار الفكر، وبيروت: دار الفكر المعاصر، (١٩: ١٧).

(٣) نفسه، (١٩: ١٨).

المصحف سُنَّةٌ لا تتغيَّر"[١]، وقد خرج الاستفهام، في هذا الموضع؛ إلى معاني: الاستهانة، والتَّصغير، والسُّخرية، بحقِّ النَّبيِّ ﷺ[٢]، كما مثَّل الاستفهام، في هذه الآية الكريمة، رجعةً إلى باب الاحتجاج على النَّبيِّ ﷺ، بعد رفضه عروض مشركي قريش، في نطاقي: الرِّياسة، والمال[٣].

والمشركون، مع سخريتهم، "أنكروا أن يكون الرَّسول ﷺ بشرًا يأكل الطَّعام، ويمشي في الطُّرق، كما يمشي سائر النَّاس...؛ فعجبوا أن يكون مساويًا للبشر"[٤]، واقترنت سخرية الكافرين، أيضًا، بالتَّعيير؛ "فعيَّروه بأكل الطَّعام؛ لأنَّهم أرادوا أن يكون الرَّسول مَلَكًا، وعيَّروه بالمشي في الأسواق"[٥].

وأكَّدت التَّفاسير السَّابقة دلالة الاستفهام على الاستهانة والتَّهكُّم[٦]، ويصحب ذلك استهزاءٌ مقرونٌ بإنكار ما هو من عادة الرُّسل عليهم السَّلام[٧]، وفي جملة الاستفهام إخبارٌ من الله تعالى "عن تعنُّت الكُفَّار وعنادهم، وتكذيبهم للحقِّ بلا حُجَّةٍ، ولا دليلٍ منهم"[٨].

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٦٥).

(٢) يُنظَر: نفسه، (٣: ٢٦٥).

(٣) يُنظَر: ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٠، ٢٠١).

(٤) ابن الجوزيِّ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمَّد، (ت٥٩٧هـ)، (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التَّفسير، تح: عبد الرَّزَّاق المهديّ، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربيّ، (٣: ٣١٢).

(٥) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٥).

(٦) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١١٨).

(٧) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٨٤)، (بتصرُّفٍ).

(٨) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ٩٥).

وعلى ذلك؛ فإنَّ مضمون هذا الموضع "شروعٌ في حكاية جنايتهم المُتَعلِّقة بخصوصيَّة المُنَزَّل عليه، و"مَاْ" استفهاميَّةٌ؛ بمعنى: إنكار الوقوع ونفيه...؛ وفي هذا تصغيرٌ لشأنه ﷺ، وتسميته ﷺ رسولًا؛ بطريق الاستهزاء به"(١).

وأوحى الاستفهام، أيضًا، بمعنى التَّعجُّب المُحِيل إلى الاستحالة والبطلان؛ فالاستفهام "تعجيبيٌّ مستعملٌ في لازمه؛ وهو بطلان كونه رسولًا؛ بناءً على أنَّ التَّعجُّب من الدَّعوى يقتضي استحالتها أو بطلانها...؛ والمراد منه: الإحالة والإبطال"(٢)، مع كونه، في الفهم الأوَّليِّ؛ على مدلولات: التَّهكُّم، والتَّحقير، والاستهانة(٣).

وحضر التَّحضيض تاليًا للاستفهام، بصورةٍ متواترةٍ، من خلال ""لَوْلَاْ"؛ بمعنى: "هَلَّا""(٤)؛ حيث "قالوا له: سل ربَّك أن يُنزل معك مَلَكًا يُنذر معك، أو يلقي إليك كنزًا تنفق منه، أو يردّ لك جبال مكَّة ذهبًا، أو تُزال الجبال ويكون مكانها جنَّاتٌ تطَّرد فيها المياه، وأشاعوا هذه المُحَاجَّة؛ فنزلت هذه الآية"(٥).

---

(١) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٠٣، ٢٠٤)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٧٨).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٢٧).

(٣) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ١٩).

(٤) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٦٥).

(٥) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠١)؛ ويُنظَر: ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٢، ٣١٣)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٨٤).

واقترن التَّحضيض، عند المشركِين، بالتَّعليل؛ فتجلَّت العِلَّة في معرفة صدقه ﷺ بتصديق المَلَك، والاستغناء عن تحصيل المعاش[1]؛ و"لَوْلَا"، في هذا السِّياق، "حرف تحضيضٍ مستعملٌ في التَّعجيز؛ أي: لو أُنزل إليه مَلَكٌ لاتَّبعناه...؛ (أو): للتَّخيير في دلائل الرِّسالة، في وهمهم"[2].

- **الموضع الثَّالث: اجتماع الأمر والاستفهام الحاليِّ.**

- قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ ﴾

جاء فعل الأمر، هنا، بصيغته المباشرة (انْظُرْ)، وتبعه الاستفهام التَّوضيحيُّ للحال بِـ(كَيْفَ)، بعد ذكر مطاعن الكافرِين في النَّبيِّ ﷺ، ضمن الآيتين السَّابقتين؛ ودلَّ فعل الأمر على التَّنبيه المقترن بالتَّسرية عن النَّبيِّ ﷺ من جهةٍ، وعلى الدَّهشة والتَّعجُّب من جهةٍ أخرى، وعلى استعظام جرأة المشركِين في إطلاق الأباطيل من جهةٍ ثالثةٍ، وعلى ترسيخ شدَّة الوضوح في سقوط مطاعنهم من جهةٍ أخيرةٍ، مع ما يوحيه فعل الأمر من دلالتي: التَّأمُّل، والمعاينة[3].

وتضمَّن الخطاب المُوَجَّه للنَّبيِّ ﷺ دلالة التَّنبيه، كما ذُكر سابقًا؛ حيث "نبَّهه الله تعالى مُسَلِّيًا عن مقالتهم"[4]؛ حين مثَّلوه بالمسحور، والكاهن، والمجنون، والشَّاعر[5]؛ فالغاية من الأمر تنبيه النَّبيِّ ﷺ إلى ما ضربه الكافرون له من الأمثال؛

---

(١) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١١٨).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٢٧).

(٣) يُنظَر: ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، مادَّة (نَظَرَ).

(٤) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠١).

(٥) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٣)، (بتصرُّفٍ).

ليتوصَّلوا إلى تكذيبه؛ فضلُّوا عن سبيل الحقِّ، وعن بلوغ مرادهم[١]؛ بما قالوه فيه ﷺ من الأقوال الشَّاذَّة، واخترعوا له من الأحوال النَّادرة[٢]؛ لذا كان في المستهلِّ الإنشائيِّ استعظامٌ للأباطيل الَّتي تفوَّهوا بها، وتعجيبٌ منها[٣]، وفعل الأمر (انْظُرْ) "مستعارٌ لمعنى: العلم؛ تشبيهًا للأمر المعقول بالأمر المرئيِّ؛ لشدَّة وضوحه"[٤].

وأُردف فعل الأمر باسم الاستفهام (كَيْفَ)؛ وهو "اسمٌ للكيفيَّة والحالة، مُجَرَّدٌ، هنا، عن معنى الاستفهام"[٥]؛ والمقصد منه: التَّعجيب، وقد "فُرِّعَ، على هذا التَّعجيب، إخبارٌ عنهم بأنَّهم (ضَلُّوا) في تلفيق المطاعن في رسالة الرَّسول ﷺ؛ فسلكوا طرائق لا تصل بهم إلى دليلٍ مقنعٍ على مرادهم؛ ففعل (ضَلُّوا) مستعملٌ في معنيَيْه المجازيين؛ هما: معنى عدم التَّوفُّق في الحُجَّة، ومعنى عدم الوصول للدِّين الحقِّ؛ وهو، هنا، تعجيبٌ من خَطَلهم، وإعراضٌ عن مجاوبتهم"[٦].

وعلى ذلك؛ فقد بدا تأثير فعل الأمر في دلالات اسم الاستفهام واضحًا؛ حيث أسهم في تدعيمها، مع إبرازه معنى التَّعجُّب المقترن بقمَّة الدَّهشة والاستغراب؛ لتوضيح حالة محاججة الكافرِين للنَّبيِّ ﷺ؛ في كونها مفرغةً من مستندي: العقل، والمنطق؛ وذلك باتِّكائها على مرتكزي: الجحود، والتَّكذيب؛ ممَّا يستدعي التَّقليل والتَّحقير من شأن مطاعنهم.

---

(١) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٦)، (بتصرُّفٍ).

(٢) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١١٨).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٠٤، ٢٠٥)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٧٨).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٣٠).

(٥) نفسه، (١٨: ٣٣٠).

(٦) نفسه، (١٨: ٣٣٠).

وخلاصة مضمون الخطاب، في الآية الكريمة: "(انْظُرْ) مُتَعَجِّبًا أيُّها الرَّسول، كيف قالوا فيك تلك الأقوال، واخترعوا لك تلك الصِّفات والأحوال النَّادرة، وقذفوك وافتروا عليك بقولهم: ساحر، مسحور، مجنون، كذَّاب، شاعر، وكلُّها أقوالٌ باطلةٌ، وأوصافٌ مفتراةٌ، لا يُصدِّق بها مَن له أدنى فهمٍ وعقلٍ؛ فصاروا مُتَحيِّرِين ضُلَّالًا عن طريق الهدى والحقِّ؛ فلا يجدون طريقًا إليه"[1].

(١) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٢٤).

المبحث الثَّاني

الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور الإنذار والجزاء والتَّثبيت.

امتدَّ المحور الثَّاني، في السُّورة الكريمة، (من الآية العاشرة، إلى الآية السِّتِّين)، وتضمَّن أُطُر: (الإنذار، والجزاء، والتَّثبيت)، ويُلحظ في هذا المحور حضور الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة الأساسيَّة؛ الماثلة في: (الأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمنِّي، والنِّداء، بالإضافة إلى التَّحضيض)؛ ويسعنا استجلاء مواضعها، وأغراضها البلاغيَّة، وفق ترتيب ظهورها، على النَّحو الآتي:

- **الموضع الأوَّل: اجتماع النَّهي والأمر.**

- قال تعالى: ﴿ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ ﴾

اجتمع النَّهي فالأمر، في هذه الآية الكريمة؛ على "معنى: التَّوبيخ والإعلام بأنَّهم يَخلُدون؛ أي: لا تقتصروا على حزنٍ واحدٍ، بل احزنوا كثيرًا؛ لأنَّكم أهلٌ لذلك"(١)؛ والفحوى: "هلاككم أكثر من أن تدعوا مرَّةً واحدةً"(٢)؛ لأنَّ عذابكم أنواعٌ كثيرةٌ؛ أو لأنَّه يتجدَّد؛ أو لأنَّه لا ينقطع؛ فهو، في كلِّ وقتٍ، ثُبورٌ(٣)؛ والظَّاهر: "أنَّ الثُّبُور يجمع الهلاك، والويل، والخسار، والدَّمار"(٤).

---

(١) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٢).

(٢) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٤).

(٣) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١١٩)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٨٧، ٨٨).

(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ٩٨).

وضمَّ الأسلوبان، أيضًا، دلالات: التَّنبيه إلى خلود عذابهم في السَّعير، والتَّصوير الواقعيِّ لحالهم، والإقناط ممَّا طمعوا به من الهلاك المُخَلِّص من العذاب الأبديِّ[(١)]؛ وفي هذه الدَّلالات تهديدٌ ووعيدٌ للكافرِين المُكَذِّبين بالعذاب الأليم المقيم.

وأضاف فعل الأمر (ادْعُوا) إيحاء التَّمنِّي الماثل في تكرار نداء الهلاك؛ نِشدانًا للخلاص، مع اقترانه باليأس والتَّحسُّر؛ والمقصود: مناداتهم ""يا ثبورنا"، أو "وا ثبوراه" بصيغة النُّدبة، وعلى كلا الاحتمالين؛ فالنِّداء كنايةٌ عن التَّمنِّي...، ووصف الثُّبُور بالكثير؛ إمَّا لكثرة ندائه بالتَّكرير؛ وهو كنايةٌ عن عدم حصول الثُّبُور؛ لأنَّ انتهاء النِّداء يكون بحضور المنادى؛ أو هو يأسٌ يقتضي تكرير التَّمنِّي أو التَّحسُّر"[(٢)]؛ فالمراد: "تيئيسهم من الخلاص من العذاب بالهلاك، والتَّنبيه إلى أنَّ عذابهم أبديٌّ لا خلاص منه"[(٣)].

- الموضع الثَّاني: اجتماع الأمر والاستفهام.

- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾

يمكننا معاينة اجتماع الأمر والاستفهام، في هذا الموضع؛ أمَّا الأمر بالفعل (قُلْ) فأتى على جهة تكليف النَّبيِّ ﷺ بمحاججة المشركِين، بعد الوصف السَّابق لعذاب

(١) يُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٣٤).

(٣) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٣٠).

الآخرة؛ وأمَّا الاستفهام فجاء "على جهة التَّوقيف والتَّوبيخ"(١)؛ وفيه "تنبيهٌ على تفاوت ما بين المنزلتين"(٢).

واشتملت الآية الكريمة على دلالتي: الحسرة، والنَّدامة؛ ذلك "أنَّه تعالى لمَّا وصف حال العقاب المُعَدِّ للمُكَذِّبِين بالسَّاعة؛ أتبعه بما يُؤكِّد الحسرة والنَّدامة"(٣)؛ وأفاد الأمر فالاستفهام "الإشارة إلى العذاب، والاستفهام والتَّفضيل والتَّرديد؛ للتَّقريع مع التَّهكُّم"(٤).

ومثَّل الأمر الوارد في المطلع "تقريعًا لهم، وتهكُّمًا بهم، وتحسيرًا على ما فاتهم"(٥)، بينما حمل الاستفهام المتبوع باسم الإشارة للبعيد (أَذَٰلِكَ) معنى: التَّهويل؛ ففيه "إشارةٌ إلى ما ذُكر من السَّعير؛ باعتبار اتِّصافها بما فُصِّلَ من الأحوال الهائلة، وما فيه من معنى: البعد؛ للإشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة"(٦)؛ والغاية الإجماليَّة للأمر والاستفهام: بيان سفاهة رأيهم واختيارهم، في تفضيلهم الضَّارَّ على النَّافع(٧).

واتَّسع الاستفهام لدلالات: التَّهكُّم، والتَّلميح، والتَّلطيف؛ بناءً على المخاطَب المقصود بالأمر؛ "فيجوز أن يَقصد: قُلْ لهم؛ أي: للمشركِين الَّذين يسمعون الوعيد

---

(١) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٣)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٨٨).

(٢) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٤).

(٣) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٣٩).

(٤) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١١٩)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٢٨).

(٥) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٠٧).

(٦) نفسه، (٦: ٢٠٧).

(٧) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٧٩)، (بتصرُّفٍ).

والتَّهديد السَّابق...؛ والاستفهام، حينئذٍ، للتَّهكُّم...، ويجوز أن يَقصد: قُلْ للمؤمنِين؛ فالجملة معترضةٌ بين آيات الوعيد؛ لمناسبة إبداء البَوْن بين حال المشركِين وحال المؤمنِين؛ والاستفهام، حينئذٍ، مستعملٌ في التَّلميح والتَّلطُّف...، في خطاب المؤمنِين، وإظهار المِنَّة عليهم"[1].

ووفق ما سبق؛ فقد جاء الاستفهام في مخاطبة المُكَذِّبين؛ للتَّنبيه على التَّفاوت بين المنزلتين؛ وللتَّهكُّم بهم والتَّحسير لهم[2]؛ ولتجنُّب ما "يُؤدِّي بهم إلى النَّار، وهذا رحمةٌ من الله عزَّ وجلَّ بهم، وإنذارٌ مسبقٌ"[3]، يتضمَّن "التَّقريع والتَّوبيخ"[4]، والخيريَّة الواردة، في الاستفهام، ليست "للمفاضلة الَّتي تُفهم من صيغة "أفعل" التَّفضيل؛ وإنَّما لتقرير أنَّ الجنَّة هي الخير المحض والحسن المطلق، ولا خير، أصلًا، في ضدِّها؛ وهي النَّار"[5].

- **الموضع الثَّالث**: **انفراد الاستفهام**.

- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقع الاستفهام المنفرد، هنا، ضمن خطاب التَّخويف والتَّرهيب للمُكَذِّبين، ولم يكن الاستفهام "عن الفعل ووجوده؛ لأنَّه لولا وجوده لما توجَّه هذا العتاب، وإنَّما هو عن

---

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٣٥).

(٢) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٣١).

(٣) نفسه، (١٩: ٣٣).

(٤) نفسه، (١٩: ٤٦)؛ ويُنظَر: نفسه، (١٩: ٤٨).

(٥) نفسه، (١٩: ٤٨).

مُتَولِّيه...؛ فائدته: أن يجيبوا بما أجابوا به؛ حتَّى يُبَكِّتَ عَبَدتهم بتكذيبهم إيَّاهم؛ فيُبهتوا، وينخذلوا، وتزيد حسرتهم؛ ويكون ذلك نوعًا ممَّا يلحقهم من غضب الله وعذابه؛ ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك؛ وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفًا للمُكَلَّفِين"(١).

ولعلم الله تعالى في الأزل بحال المسؤول عنه؛ فقد جاء الاستفهام على سبيل التَّقريع للمشركِين؛ ولأنَّ المعبودِين قاموا بتبرئة أنفسهم، وأحالوا ذلك الضَّلال على الكافرِين؛ صار تبرُّؤ المعبودِين منهم أشدَّ في حسرتهم وحَيْرتهم(٢)؛ وهو، على ذلك، "استفهام توبيخٍ للكُفَّار"(٣)، واستفهام "تقريعٍ وتبكيتٍ للعَبَدة"(٤)؛ فكان الخطاب "مُخْبِرًا عمَّا يقع يوم القيامة من تقريع الكُفَّار في عبادتهم مَن عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم"(٥).

والعموم، في الاسم الموصول، "شاملٌ لأصناف المعبودات الَّتي عبدوها؛ ولذلك أُوثرت (مَا) الموصولة؛ لأنَّها تصدق على العقلاء وغيرهم، على أنَّ التَّغليب، هنا، لغير العقلاء...، والاستفهام تقريريٌّ؛ للاستنطاق والاستشهاد...؛ لإشعارهم بأنَّهم لا

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٦٨، ٢٦٩)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٩٠).

(٢) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٤٢، ٤٤٣)، (بتصرُّفٍ).

(٣) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ١٠).

(٤) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٠)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٩٠، ٩١)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٠٨)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٠)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٣٤).

(٥) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ٩٩).

مناص لهم من الإقرار بأحد الأمرين...؛ فالمقصود بالتَّقوية هو معادل همزة الاستفهام؛ وهو: (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ)"[1]؛ وقد جاء هذا السُّؤال للمعبودِين "على سبيل التَّقرير والتَّثبيت"[2].

ويُشار إلى تقدير فعل الأمر (وَاذْكُرْ)، في مستهلِّ الآية الكريمة؛ لغرض التَّذكير الَّذي لا يخلو، في عموم الخطاب، من الوعظ والتَّحذير؛ والمعنى: "وَاذْكُرْ يَوْمَ...؛ وهذه الآية تتضمَّن الخبر عن أنَّ الله يُوبِّخ الكُفَّار في القيامة، بأن يوقف المعبودِين على هذا المعنى؛ ليقع الجواب بالتَّبرِّي من الذَّنب؛ فيقع الخزي على الكافرِين"[3].

- **الموضع الرَّابع**: **انفراد الاستفهام**.

- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾

الخطاب، في الآية الكريمة بعامَّةٍ، وفي أسلوب الاستفهام بخاصَّةٍ؛ فيه "تصبيرٌ لرسول الله ﷺ على ما قالوه واستبدعوه...، وقيل: هو تسليةٌ له عمَّا عيَّروه به من الفقر...، وأنَّه جعل الأغنياء فتنةً للفقراء؛ لينظر: هل يصبرون؟"[4].

---

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٣٧).

(٢) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٣٥).

(٣) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٣).

(٤) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٢).

وانضوت هذه الآية الكريمة ضمن الرَّدِّ "على كُفَّار قريش، في استبعادهم أن يكون من البشر رسولٌ...؛ فأخبر الله تعالى محمَّدًا ﷺ وأُمَّته أنَّه لم يُرسِل قبلُ في سائر الدَّهر نبيًّا إلَّا بهذه الصِّفة...؛ ثمَّ أخبر عزَّ وجلَّ أنَّ السَّبب في ذلك: أنَّ الله تعالى أراد أن يجعل بعض العبيد فتنةً لبعضٍ على العموم...، والتَّوقيف بِـ(أَتَصْبِرُونَ) خاصٌّ للمؤمنِين المُحِقِّين؛ فهو لأُمَّة محمَّدٍ ﷺ؛ كأنَّه جعل إمهال الكُفَّار فتنةً للمؤمنِين؛ أي: اختبارًا، ثمَّ وقفهم هل يصبرون أم لا"[١].

ويُحدَّد المخاطَب بالسُّؤال في ثلاثة أقوالٍ: "فعلى الأوَّل: يكون الخطاب بقوله: (أَتَصْبِرُونَ) لأهل البلاء. وعلى الثَّاني: للرُّؤساء؛ فيكون المعنى: (أَتَصْبِرُونَ) على سبق الموالي والأتباع. وعلى الثَّالث: للفقراء؛ والمعنى: (أَتَصْبِرُونَ) على أذى الكُفَّار واستهزائهم؛ فالمعنى: قد علمتم ما وُعد الصَّابرون. (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمَن يصبر، وبمَن يجزع"[٢]؛ فالاستفهام بالمعنى الأخير للتَّقرير[٣].

وتضمَّنت الآية الكريمة قصد التَّعزية؛ فقد "حزن النَّبيُّ ﷺ؛ لذلك فنزلت تعزيةً له"[٤]؛ وعليه فقد اشتمل الاستفهام على دلالتي: التَّسلية، والحثِّ؛ فهو تسليةٌ لرسول الله ﷺ على ما قالوه؛ وحثٌّ له ﷺ، وللرُّسل عليهم السَّلام، وللمؤمنِين، على الصَّبر

---

(١) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٥)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ١٩).

(٢) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٦).

(٣) يُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٤٧).

(٤) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ١٣).

على ما افتتنوا به[1]؛ فكأنَّه تعالى طلب منهم الصَّبر الجميل؛ إذ قيل: هو استفهامٌ بمعنى: الأمر؛ أي: اصبروا[2].

وينبني على التَّوضيح السَّابق أنَّ "الكلام تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ عن إعراض بعض قومه عن الإسلام؛ ولذلك عقَّب بقوله: (أَتَصْبِرُونَ)؛ وهو استفهامٌ مستعملٌ في الحثِّ والأمر...؛ وموقع (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) موقع الحثِّ على الصَّبر المأمور به؛ أي: هو عليمٌ بالصَّابرِين؛ وإيذانٌ بأنَّ الله لا يُضيِّع جزاء الرَّسول ﷺ على ما يلاقيه من قومه، وأنَّه ناصره عليهم"[3].

ويُجمل البَسْط السَّابق في أنَّ الاستفهام محمولٌ على مقصد "الأمر؛ بمعنى: اصبروا...؛ فهو حَثٌّ على الصَّبر على الابتداء؛ وأمرٌ به للنَّبيِّ ﷺ وغيره؛ أو عِلَّةٌ لقوله: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً)"[4]؛ ومضمونه: "اصبروا على ما أراده الله لكم، وكان ربُّك أيُّها الرَّسول بصيرًا بمَن يصبر وبمَن يجزع، وبمَن يستقيم وبمَن يتنكَّر لطريق الحقِّ؛ فيجازي كلًّا منهم بما يستحقُّه من ثوابٍ وعقابٍ"[5]؛ وغاية الأمر بالصَّبر التَّثبيت على الإيمان، وتفويض الأمور كلِّها لله تعالى[6].

---

(١) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢١)، (بتصرُّفٍ).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٩٥)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٠).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٨: ٣٤٥).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٣٨).

(٥) نفسه، (١٩: ٤٠).

(٦) يُنظَر: نفسه، (١٩: ٤١).

- الموضع الخامس: انفراد التَّحضيض المتواتر.

- قال تعالى: ﴿ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ ﴾

ورد التَّحضيض، في سياق هذه الآية الكريمة، بِـ"لَوْلَا"؛ على معنى: "هَلَّا"؛ حيث اقترح المشركون "من الآيات أن يُنزِل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأنَّ محمَّدًا ﷺ صادقٌ؛ حتَّى يُصدِّقوه، أو يرَوا الله جهرةً؛ فيأمرهم بتصديقه واتِّباعه"(١).

وفي هذا القول عدَّة تأويلاتٍ؛ فإمَّا أن يكونوا عالمِين بأنَّ الله تعالى لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء عليهم السَّلام، وأنَّ الله تعالى لا يصحُّ أن يُرى؛ وإنَّما علَّقوا إيمانهم بما لا يكون؛ وإمَّا ألَّا يكونوا عالمِين بذلك؛ وإنَّما أرادوا التَّعنُّت باقتراح آياتٍ سوى الآيات الَّتي نزلت وقامت بها الحُجَّة عليهم، وقد أضمروا الاستكبار عن الحقِّ؛ وهو الكفر والعناد، وعَتَوْا وتجاوزوا الحدَّ في الظُّلم، وقد وُصف العُتُوُّ بالكبير؛ فبالغ في إفراطه؛ يعنى: أنَّهم لم يَجسُروا على هذا القول العظيم؛ إلَّا لأنَّهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العُتُوِّ؛ وفي فحوى هذا الفعل دليلٌ على التَّعجُّب من غير لفظ التَّعجُّب؛ والمعنى: ما أشدَّ استكبارهم! وما أكبر عُتُوَّهم!(٢).

وتمثَّلت، في هذا الاقتراح، الشُّبهة الرَّابعة لمنكري نُبُوَّة محمَّدٍ ﷺ؛ وحاصلها: لِمَ لَمْ يُنزِل اللَّه الملائكة حتَّى يشهدوا أنَّ محمَّدًا مُحِقٌّ في دعواه، أو نرى ربَّنا حتَّى يخبرنا بأنَّه أرسله إلينا؟ ؛ وفي مضمون التَّحضيض جحودٌ بلقاء الله تعالى، وما وعده

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٢).

(٢) نفسه، (٣: ٢٧٢، ٢٧٣)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٥)؛ ويُنظَر: ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٦).

على الطَّاعة من الجنَّة والثَّواب؛ وفيه محض الاستكبار والتَّعنُّت والخروج عن العبوديَّة إلى مقام المنازعة والمعارضة؛ ولعدم انتفاعهم بالمقترح؛ فقد علَّقوا إيمانهم، على ذلك، على سبيل التَّعنُّت، أو على سبيل الاستهزاء[1].

وقوله تعالى: (لَاْ يَرْجُونَ)؛ بمعنى: لا يخافون البعث ولقاء الله تعالى؛ أي: لا يؤمنون بذلك، أو لا يبالون، أو لا يَأمُلون، و(لَوْلَاْ أُنْزِلَ)؛ أي: هَلَّا أُنْزِلَ[2]؛ وفي تحضيض الكافرِين "شروعٌ في حكاية بعضٍ آخرَ من أقاويلهم الباطلة، وبيان بطلانها إثر إبطال أباطيلهم السَّابقة"[3]؛ فهؤلاء هم "المُكَذِّبون للرَّسول ﷺ، المُكَذِّبون بوعد الله ووعيده، الَّذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد، ولا رجاء لقاء الخالق...؛ وهذا معارضةٌ للرَّسول ﷺ بالتَّكبُّر والعُلُوِّ والعُتُوِّ...؛ فلذلك لم ينجع فيهم وعظٌ ولا تذكيرٌ، ولا اتَّبعوا الحقَّ حين جاءهم النَّذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البيِّنات بالإعراض والتَّكذيب والمعارضة"[4].

وقد عَنْوَنَ الله تعالى "عليهم في هذه المقالة بِـ(الَّذِينَ لَاْ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا)...؛ لأنَّ بين هذا الوصف وبين مقالتهم انتقاضًا؛ فهم قد كذَّبوا بلقاء الآخرة بما فيه من رؤية اللَّه والملائكة، وطلبوا رؤية اللَّه في الدُّنيا، ونزول الملائكة عليهم في الدُّنيا، وأرادوا تلقِّي الدِّين من الملائكة أو من اللَّه مباشرةً؛ فكان في حكاية قولهم وذكر وصفهم

---

(١) يُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٤٧ - ٤٤٩).

(٢) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ١٩)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢١)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ٩٦، ٩٧)؛ ويُنظَر: ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٠١).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٠).

(٤) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨١).

تعجيبٌ من تناقض مداركهم...؛ و"لَوْلَا": حرف تحضيضٍ مستعملٌ في التَّعجيز والاستحالة"[١]؛ وقيل: للتَّرجِّي[٢].

ومقصد المُكَذِّبين من مقالتهم: أنَّهم أعلى من أن يتلقَّوا الدِّين من رجلٍ مثلهم؛ ولذلك عقَّب الله تعالى بقوله: (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)؛ على معنى التَّعجيب من ازدهائهم وغرورهم الباطل، والتَّأكيد بِـ"لام القسم"؛ لإفادة معنى التَّعجيب، وإنَّما كان هذا ظلمًا؛ لأنَّهم تجاوزوا مقدار ما خوَّلهم اللَّه تعالى من القابليَّة؛ وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ النُّبُوءة لا تكون بالاكتساب؛ وإنَّما هي إعدادٌ من اللَّه تعالى[٣]؛ وبذلك تبيَّن سبب التَّحضيض في أنَّ الكافرِين كانوا "لا يرومون من كلامهم هذا إلَّا المكابرة والتَّمادي في الإنكار والعناد"[٤].

- الموضع السَّادس: اندماج النِّداء والتَّمنِّي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾

لمسنا اندماجًا بين النِّداء والتَّمنِّي، في هذا الموضع، وقيل: نزلت هذه الآية الكريمة "في عُقبة بن أبي مُعيط بن أميَّة بن عبد شمس...، و"اللَّام" في (الظَّالم)

---

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٥).

(٢) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٤٢).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٥، ٦)، (بتصرُّفٍ).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٤٤)؛ ويُنظَر: نفسه، (١٩: ٤٤، ٤٥).

يجوز أن تكون للعهد؛ يُراد به عُقبة خاصَّةً، ويجوز أن تكون للجنس؛ فيتناول عُقبة وغيره"(١).

والظَّاهر من الاستهلال المنعكس على دلالات الإنشاء الطَّلبيِّ اللَّاحق: أنَّ عضَّ اليدين هو فعل النَّادم الملهوف المُتَفجِّع، وأنَّ الظَّالم عامٌّ، وأنَّ مقصد الآية: تعظيم يوم القيامة، وذكر هوله؛ بأنَّه يومٌ يندم فيه كلُّ ظالمٍ، ويتمنَّى أن لو لم يطع خليله الَّذي أمره بالظُّلم، وفي هذه الآية الكريمة لكلِّ ذي نُهْيَةٍ تنبيهٌ على تجنُّب قرين السُّوء(٢).

وحرف النِّداء وما بعده "محكيٌّ به؛ و"يَا" إمَّا لمُجَرَّد التَّنبيه من غير قصدٍ إلى تعيين المُنَبَّه؛ أو المنادى محذوفٌ؛ أي: يَا هؤلاءِ ليتني (اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)؛ أي: طريقًا واحدًا منجيًا من هذه الورطات، وهو طريق الحقِّ"(٣).

وقد يُفهم حضور حرف النِّداء على أنَّه "نداءٌ للكلام الدَّالِّ على التَّمنِّي، بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الَّذي يُطلب حضوره؛ لأنَّ الحاجة تدعو إليه في حالة النَّدامة...؛ وهذا النِّداء يزيد المُتَمنِّي استبعادًا للحصول"(٤)؛ ولهذا الاستبعاد أن يُرسِّخ استحالة

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٦).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٨، ٢٠٩)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٢)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠١)؛ ويُنظَر: ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٠٥؛ ١٠٨).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٣، ٢١٤).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ١٣).

تحقُّق المُتمَنَّى؛ ويكون التَّمنِّي، بذلك، إعلامًا بمقصدي: التَّحذير، والتَّخويف، والسَّبيل المذكور "سبيل نجاح مَن تمنَّاه؛ لأنَّ التَّمنِّي طلب الأمر المحبوب العزيز المنال"(١).

ويُشار إلى إمكانيَّة تقدير فعل الأمر "وَاذْكُرْ"، في مطلع هذه الآية الكريمة؛ ليكون المعنى: "وَاذْكُرْ يَوْمَ"، على غرار ما ورد في مطلع الآية السَّابعة عشرة؛ ويُوجِّهنا فعل الأمر المُقَدَّر إلى التَّنبيه المقترن بالوعظ التَّحذيريِّ من الذُّنوب المحيلة إلى النَّدم الشَّديد يوم القيامة.

ويكون تقدير المعنى: "وَاذْكُرْ أيُّها الرَّسول يوم القيامة الَّذي يَعَضُّ المشرك وكلُّ ظالمٍ على يديه؛ ندمًا وحسرةً وأسفًا على ما فرَّط في حياته، وعلى إعراضه عن طريق الحقِّ والهدى الَّذي جاء به الرَّسول ﷺ، ويقول: (يَاْ لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) ﷺ طريقًا إلى النَّجاة والسَّلامة"(٢).

- الموضع السَّابع: اجتماع النِّداء والتَّمنِّي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

افتُتحت هذه الآية الكريمة باجتماع نداء الويل مع تمنِّي عدم اتِّخاذ الخليل الكافر، وقد قرئ المطلع: "(يا ويلتي) بالياء، وهو الأصل؛ لأنَّ الرَّجل ينادي ويلتَه؛ وهي هلكته، يقول لها: تَعَالَيْ؛ فهذا أوانك"(٣)؛ والمعنى هنا: "دعاءٌ بالويل والثُّبُور على محالفة الكافر ومتابعته"(٤).

---

(١) نفسه، (١٩: ١٣).

(٢) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٥٢).

(٣) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٦)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٣).

(٤) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٢٦).

وبغضِّ النَّظر عن اختلاف الآراء حول الخليل المُشار إليه في الآية الكريمة؛ فهو، على العموم: "كلُّ مَن أُطيع في معصية الله، وأُرضي بسخط الله"(١)؛ وأمَّا الظَّالم الَّذي أطاعه وأرضاه فَـ"ينادي بالويل والحسرة"(٢)؛ والتَّمنِّي اللَّاحق، "وإنْ كان مسوقًا لإبراز النَّدم والحسرة، لكنَّه مُتَضَمِّنٌ لنوع تعلُّلٍ واعتذارٍ، بتوريك جنايته إلى الغير"(٣).

وهكذا نجد أنَّ النِّداء، في هذا السِّياق، هو تحسُّرٌ بطريق نداء الويل، وأُتبع التَّحسُّر بتمنِّي عدم اتِّخاذ الخليل الكافر، وإنَّما تمنَّى ألَّا يكون اتَّخذه خليلًا دون تمنِّي أن يكون عصاه فيما سوَّل له؛ قصدًا للاشمئزاز من خُلَّته من أصلها؛ إذ كان الإضلال من أحوالها؛ وفيه إيماءٌ إلى أنَّ شأن الخُلَّة الثِّقة بالخليل، وحمل مشورته على النُّصح(٤).

وبذلك اجتمع النِّداء والتَّمنِّي على معنى: "يا هلاكي احضر؛ فهذا أوانك، ليتني لم أتَّخذ فلانًا الَّذي أضلَّني خليلًا؛ أي صديقًا حميمًا، أرداني اتِّباعه، وصرفني عن الهدى، وعدل بي إلى طريق الضَّلال، سواء في ذلك أُبَيّ بن خلف، أو أميَّة بن خلف، أو غيرهما"(٥)، وقد "عنى أميَّة، وكَنَّى عنه، ولم يُصرِّح باسمه؛ لئلَّا يكون هذا الوعد مخصوصًا به، ولا مقصورًا عليه"(٦).

---

(١) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٩).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٢).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٤).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ١٣، ١٤)، (بتصرُّفٍ).

(٥) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٥٢).

(٦) نفسه، (١٩: ٥٤).

- الموضع الثَّامن: انفراد النِّداء.

- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ أتى أسلوب النِّداء، هنا، على نحوٍ منفردٍ؛ بدلالتي: الخضوع، والتَّعظيم، وقد حكى الله عزَّ وجلَّ عن النَّبيِّ ﷺ "شكواه قومه إليه؛ وفي هذه الحكاية تعظيمٌ للشِّكاية، وتخويفٌ لقومه؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السَّلام كانوا إذا التجئوا إليه، وشكَوا إليه قومهم؛ حلَّ بهم العذاب؛ ولم يُنظروا"(١)؛ ومضمون الشَّكوى "مُنَبِّهٌ للمؤمنِين على ملازمة المصحف...، ثمَّ سلاه عن فعل قومه بأن أعلمه أنَّ غيره من الرُّسل عليهم السَّلام كذلك امتحن بأعداءٍ في زمنه؛ أي: فاصبر كما صبروا"(٢).

وقال الرَّسول ﷺ ذلك "شاكيًا من قومه إلى الله تعالى حين كذَّبوه"(٣)؛ فالكُفَّار "لمَّا أكثروا من الاعتراضات الفاسدة، ووجوه التَّعنُّت؛ ضاق صدر الرَّسول ﷺ؛ وشكاهم إلى الله تعالى"(٤)؛ فكان نداء الشِّكاية بثًّا إلى الله تعالى بصدود قومه عنه، وترهيبًا لهم بتعجيل العقاب(٥).

وظاهر الآية الكريمة يدلُّ على "أنَّ دعاء رسول الله ﷺ ربَّه، وإخباره بهجر قومه قريش القرآن هو ممَّا جرى له في الدُّنيا؛ بدليل إقباله عليه مُسَلِّيًا مُؤَانِسًا"(٦)، وقد

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٧)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٢)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٥).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٩).

(٣) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣١٩).

(٤) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٥٥).

(٥) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٣).

(٦) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٢).

جاء نداء الضَّراعة والشَّكوى "بطريق البثِّ إلى ربِّه...؛ وفيه تلويحٌ بأنَّ من حقِّ المؤمن أن يكون كثير التَّعاهد للقرآن؛ كيلا يندرج تحت ظاهر النَّظم الكريم...؛ وفيه من التَّحذير والتَّخويف ما لا يخفى"(١)؛ إذ نادى النَّبيُّ ﷺ ربَّه "شاكيًا له إعراض قومه عمَّا جاء به، ومُتَأَسِّفًا على ذلك منهم"(٢).

وخلاصة المقصود "من حكاية قول الرَّسول ﷺ: إنذار قريش بأنَّ الرَّسول ﷺ توجَّه إلى ربِّه في هذا الشَّأن؛ فهو يستنصر به ويوشك أن ينصره، وتأكيده بِـ(إنَّ)؛ للاهتمام به؛ ليكون التَّشكِّي أقوى، والتَّعبير عن قريش بِـ(قَوْمِي)؛ لزيادة التَّذمُّر من فعلهم معه؛ لأنَّ شأن قوم الرَّجل أن يوافقوه"(٣).

وارتبطت هذه الآية الكريمة بالآيات السَّابقة؛ إذ "بعد بيان اعتراضات المشركِين وأقاويلهم الباطلة، وأوجه تعنُّتهم؛ كطلب إنزال الملائكة، أو رؤية الله، وتكذيب القرآن ووصفه بالأساطير، أوضح الله تعالى أنَّ الرَّسول ﷺ ضاق صدره، واشتكاهم إلى ربِّه بأنَّ قومه هجروا القرآن"(٤)؛ فكانت شكايته ﷺ من "سوء أفعال المشركِين وأقوالهم السَّاقطة، قائلًا: (يَاْ رَبِّ)، إنَّ قومي قريشًا تركوا الإصغاء لهذا القرآن، ولم يؤمنوا به، وأعرضوا عن استماعه واتِّباعه"(٥).

---

(١) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٥).

(٢) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٢).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ١٧).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٥٦، ٥٧).

(٥) نفسه، (١٩: ٥٧).

- الموضع التَّاسع: انفراد التَّحضيض.

- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾

ظهر التَّحضيض، ضمن هذه الآية الكريمة، في "لَوْلَا"؛ بمعنى: "هَلَّا"، وكان "من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدَّالَّة على شِرادهم عن الحقِّ، وتجافيهم عن اتِّباعه. قالوا: هَلَّا أُنزل عليه دفعةً واحدةً، في وقتٍ واحدٍ، كما أُنزلت الكتب الثَّلاثة، وما له أُنزل على التَّفاريق. والقائلون: قريش، وقيل: اليهود؛ وهذا فضولٌ من القول ومماراةٌ بما لا طائل تحته؛ لأنَّ أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملةً واحدةً أو مُفَرَّقًا"(١).

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) "جوابٌ لهم؛ أي: كذلك أُنزل مُفَرَّقًا؛ والحكمة فيه: أن نُقوِّي بتفريقه فؤادك؛ حتَّى تعيه وتحفظه؛ لأنَّ المُتَلَقِّن إنَّما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئًا بعد شيءٍ...، والرَّسول ﷺ فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السَّلام؛ حيث كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب؛ وهم كانوا قارئين كاتبين؛ فلم يكن له بُدٌّ من التَّلقُّن والتَّحفُّظ...، وقولهم: لولا أُنزل عليه جملةً؛ معناه: لِمَ أُنزل مُفَرَّقًا؟"(٢).

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٧٨).

(٢) نفسه، (٣: ٢٧٨)؛ ويُنظَر: ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٠٩)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٣، ١٠٤)؛ ويُنظَر: ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٠٩).

وبذلك تبيَّنت العِلَّة الظَّاهرة للتَّفريق في التَّثبيت؛ والمعنى: "لنُقوِّي به قلبك فتزداد بصيرةً؛ وذلك أنَّه ﷺ كان يأتيه الوحي في كلِّ أمرٍ وحادثةٍ؛ فكان أقوى لقلبه، وأنور لبصيرته، وأبعد لاستيحاشه. (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)؛ أي: أنزلناه على التَّرتيل؛ وهو التَّمكُّث الَّذي يُضادُّ العجلة"(١).

وتُستنطق العلل الأخرى من خلال بيان جواب التَّحضيض؛ وبيان هذا الجواب من وجوهٍ تتمثَّل في: تفادي السَّهو الَّذي قد يقع نتيجة عدم كونه ﷺ من أهل القراءة والكتابة؛ وليكون حفظه له أكمل وأبعد عن المساهلة وقلَّة التَّحصيل؛ ولتجنُّب المشقَّة على الخلق بإنزال الشَّرائع دفعةً واحدةً؛ ولتقوية قلبه ﷺ وتصبيره على أداء الرِّسالة وأذيَّة قومه؛ ولإثبات كون القرآن الكريم مُعْجِزًا مع تفريقه؛ ولنزوله بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم؛ ولدلالة عجز الكافرِين عن معارضة المُفَرَّق على عجزهم عن معارضة الكُلِّ؛ وللمحافظة على المنصب العالي لجبريل عليه السلام في السِّفارة بين اللَّه تعالى وبين أنبيائه عليهم السَّلام بنزوله مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا(٢).

ويُستصفى من العرض السَّابق أنَّ هذا التَّحضيض "هو اعتراضٌ لا طائل تحته؛ لأنَّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملةً أو مُفَرَّقًا"(٣)؛ وقد كان "على سبيل الاقتراح والاعتراض الدَّالِّ على نفورهم عن الحقِّ"(٤)؛ حيث أخبر الله تعالى "عن كثرة اعتراض

---

(١) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٠).

(٢) يُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٥٧)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٢٨، ٢٩)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٥، ٢١٦)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٢)؛ ويُنظَر: ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ١٨ – ٢٠).

(٣) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٣).

(٤) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٣).

الكُفَّار وتعنُّتهم، وكلامهم فيما لا يعنيهم"[١]؛ ففي الآية الكريمة "حكايةٌ لاقتراحهم الخاصِّ بالقرآن الكريم، بعد حكاية اقتراحهم في حقِّه ﷺ، والقائلون هم القائلون أَوَّلًا، وإيرادهم بعنوان الكفرِ؛ لذمِّهم به والإشعار بعِلَّة الحُكم"[٢].

وعلى وجه العموم؛ ففي هذا الموضع "عودٌ إلى معاذيرهم وتعلُّلاتهم الفاسدة؛ إذ طعنوا في القرآن بأنَّه نُزِّلَ مُنَجَّمًا...، وهذه جهالةٌ منهم بنسبة كتب الرُّسل عليهم السَّلام؛ فإنَّها لم يَنزل شيءٌ منها جملةً واحدةً؛ وإنَّما كانت وحيًا مُفَرَّقًا"[٣].

وقد عدل الله تعالى "عن خطابهم إلى خطاب الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام؛ إعلامًا له بحكمة تنزيله مُفَرَّقًا، وفي ضمنه امتنانٌ على الرَّسول ﷺ بما فيه تثبيت قلبه والتَّيسير عليه...، ويُستعار الثَّبات لليقين وللاطمئنان بحصول الخير لصاحبه...؛ والفؤاد، هنا: العقل؛ وتثبيته بذلك الإنزال: جعله ثابتًا في ألفاظه ومعانيه، لا يضطرب فيه"[٤].

وبناءً على ما سبق؛ فقد أضاف مشركو مكَّة "لطعنهم السَّابق في القرآن بأنَّه إفكٌ مفترًى، وأنَّه أساطير الأوَّلين، أضافوا شبهةً أخرى هي قولهم: إذا كنتَ تزعم أنَّك رسولٌ من عند الله؛ أفلا تأتينا بالقرآن جملةً واحدةً، كما أُنزلت التَّوراة جملةً على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والزَّبور على داود عليه السلام؟ ؛ ومعنى الآية: لو كان القرآن من عند الله حقًّا؛ فهَلَّا أُنزل على محمَّدٍ ﷺ جملةً واحدةً، كما نزلت الكتب الإلهيَّة المُتَقدِّمة"[٥].

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٠٩).

(٢) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٥).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ١٨).

(٤) نفسه، (١٩: ١٩).

(٥) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٥٨).

- الموضع العاشر: انفراد الأمر.

- قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾

تجلَّى فعل الأمر (اذْهَبَا) في سياق حكاية التَّكليف الرَّبَّانيِّ لموسى وهارون عليهما السَّلام، بدعوة فرعون وقومه إلى التَّوحيد؛ وفي الأمر إيحاءٌ بإخبار مبتدأ القصَّة؛ والمعنى: فذهبا إليهم؛ فكذَّبوهما؛ فدمَّرناهم؛ أراد اختصار القصَّة؛ فذكر حاشيتَيْها أوَّلها وآخرها؛ لأنَّهما المقصود من القصَّة بطولها؛ إذ المقصود: إلزام الحُجَّة ببعثة الرُّسل عليهم السَّلام، واستحقاق التَّدمير بتكذيبهم(١)، وهذه الآية الكريمة الَّتي شكَّلت منطلق الحديث عن الأمم، هي تمثيلٌ للكافرِين، وتوعُّدٌ لهم أن يحلَّ بهم ما حلَّ بهؤلاء المُعَذَّبِين(٢).

وقد توافقت هذه الآية الكريمة مع سياق الآيات السَّابقة؛ ذلك أنَّه بعد أن "تقدَّم تكذيب قريش والكُفَّار لِمَا جاء به رسول اللَّه ﷺ؛ ذكر تعالى ما فيه تسليةٌ للرَّسول ﷺ، وإرهابٌ للمُكَذِّبِين، وتذكيرٌ لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السَّابقة من هلاك الاستئصال؛ لَمَّا كذَّبوا رسلهم عليهم السَّلام"(٣)؛ فكانت ضمن الآيات الَّتي قالها الله تعالى "مُتَوَعِّدًا مَن كذَّب رسوله محمَّدًا صلوات الله وسلامه عليه، من مشركي قومه،

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٠)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٤)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٧).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٠)، (بتصرُّفٍ).

(٣) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٥، ١٠٦).

ومَن خالفه، ومُحَذِّرَهم من عقابه وأليم عذابه، ممَّا أحلَّه بالأمم الماضية المُكَذِّبين لرسله عليهم السَّلام"(١).

وبذلك نرى أنَّه "لَمَّا جرى الوعيد والتَّسلية بذكر حال المُكَذِّبين للرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام، عطف على ذلك تمثيلهم بالأمم المُكَذِّبين رسلهم عليهم السَّلام؛ ليحصل من ذلك موعظة هؤلاء؛ وزيادة تسلية الرَّسول ﷺ؛ والتَّعريض بوعده بالانتصار له. وابتُدئ بذكر موسى عليه السلام وقومه؛ لأنَّه أقرب زمنًا من الَّذين ذُكروا بعده؛ ولأنَّ بقايا شرعه وأُمَّته لم تزل معروفةً عند العرب"(٢)؛ فجاء استحقاق التَّدمير "تعريضًا بالمشركِين في تكذيبهم محمَّدًا ﷺ؛ وتمهيدًا للتَّفريع بِـ(فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) الَّذي هو المقصود من الموعظة والتَّسلية"(٣).

وموجز البيان السَّابق: أنَّ الله تعالى قال "آمرًا موسى وهارون عليهما السَّلام: اذهبا إلى فرعون وقومه؛ لتبليغ الرِّسالة؛ وهي إعلان الوحدانيَّة والرُّبوبيَّة لله عزَّ وجلَّ؛ فلا إله غيره، ولا معبود سواه؛ فلمَّا ذهبا؛ كذَّبهما فرعون وجنوده"(٤)؛ والمعنى: "انظروا يا كُفَّار مكَّة عاقبة الكفر وتكذيب الرُّسل"(٥)؛ فالمُتَغَيَّا "من إيراد هذه القصص، هنا، واضحٌ؛ وهو تحذير المشركِين من تكذيب النَّبيِّ ﷺ"(٦).

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٠)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٣).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٢٤، ٢٥).

(٣) نفسه، (١٩: ٢٥).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٦٥).

(٥) نفسه، (١٩: ٦٦).

(٦) نفسه، (١٩: ٦٨).

- الموضع الحادي عشر: انفراد الاستفهام.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾

انفرد الاستفهام بالحضور، في هذا الموضع، وقد أراد الله عزَّ وجلَّ "بالقرية "سَدُومَ" من قرى قوم لوطٍ، وكانت خمسًا: أهلك الله تعالى أربعًا بأهلها وبقيت واحدةٌ...؛ يعنى: أنَّ قريشًا مرُّوا مرارًا كثيرةً في مَتاجِرهم إلى الشَّام على تلك القرية الَّتي أُهلكت بالحجارة من السَّماء، (أَفَلَمْ يَكُونُوا) في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون، بل كانوا قومًا كفرةً بالبعث، لا يتوقَّعون نُشُورًا وعاقبةً...؛ فمِن ثَمَّ لم ينظروا؛ ولم يذَّكَّروا؛ ومرُّوا بها كما مرَّت ركابهم"(١).

وهذا الاستفهام "وقفهم على إعراضهم وتعرُّضهم لسخط الله، بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية"(٢)؛ والمراد: الاستفهام عن أثر رؤية الكُفَّار للقرية "في أسفارهم؛ ليعتبروا"(٣)؛ أو لـ"يتَّعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله"(٤).

والاستفهام، في المجمل؛ معناه: التَّعجُّب من عدم اعتبار مشركي مكَّة برؤية العذاب الَّذي حلَّ بأهل القرية(٥)؛ وغايته: ترسيخ الإنكار لعدم اعتبارهم بما حلَّ بأهلها "من العذاب والنَّكال؛ بسبب تكذيبهم بالرَّسول ﷺ، ومخالفتهم أوامر الله"(٦).

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨١)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٥).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١١).

(٣) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٣٤).

(٤) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٥).

(٥) يُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٨).

(٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٢).

وجاءت همزة الاستفهام، أيضًا، "لإنكار نفي استمرار رؤيتهم لها، وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من إتيانهم عليها[١]"[٢]؛ وبذلك تفرَّع عن "تحقيق إتيانهم على القرية، مع عدم انتفاعهم به، استفهامٌ صُورِيٌّ عن انتفاء رؤيتهم إيَّاها حينما يأتون عليها؛ لأنَّهم لَمَّا لم يتَّعظوا بها كانوا بحال مَن يسأل عنهم: هل رأَوها؟ ؛ فكان الاستفهام لإيقاظ العقول للبحث عن حالهم؛ وهو استفهامٌ إمَّا مستعملٌ في الإنكار والتَّهديد؛ وإمَّا مستعملٌ في الإيقاظ لمعرفة سبب عدم اتِّعاظهم"[٣].

وبدا، في الإشارات السَّابقة، سبب انتفاء الرُّؤية المقترنة بالعبرة والعظة؛ والتَّقدير: "أفلم يرَوا ما حلَّ بتلك القرية من عذاب الله ونكاله؛ بسبب تكذيبهم بالرَّسول ﷺ، وبمخالفتهم أوامر الله، إنَّهم، فعلًا، يرون ذلك، ولكنَّهم لم يعتبروا؛ ومنشأ عدم العظة والعبرة وتكذيب النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ أنَّهم قومٌ لا يخافون أو لا يتوقَّعون نشورًا؛ أي: معادًا يوم القيامة... إنَّ عدم الخوف من اليوم الآخر، وما فيه من الثَّواب والعقاب؛ هو السَّبب الجوهريُّ في الإعراض عن دعوة الرَّسول ﷺ"[٤].

- الموضع الثَّاني عشر: انفراد الاستفهام.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾

(١) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٦٤).

(٢) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢١٩).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٠).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٦٧، ٦٨).

تبدَّى الاستفهام على نحوٍ منفردٍ، في هذه الآية الكريمة؛ وفيه "استصغارٌ...، وإخراجه في معرض التَّسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار، سخريةٌ واستهزاءٌ"(١)؛ فقد أخبر الله تعالى عن المشركِين أنَّهم إذا رأوا محمَّدًا ﷺ استهزؤوا به واستحقروه، واستبعدوا أن يبعثه الله رسولًا؛ فقالوا هذا القول على جهة الاستهزاء(٢).

ولهذه الآية الكريمة صلةٌ بالآيات السَّابقة؛ إذ لم يقتصر الكُفَّار "على ترك الإيمان به، بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار"(٣)، ونزلت هذه الآية الكريمة في أبي جهلٍ، والألف للاستفهام على معنى: التَّقرير والاحتقار(٤).

وقد جاء الاستفهام، وفق ما سبق، في سياق إخبار الله تعالى عن استهزاء المشركِين بالرَّسول ﷺ؛ حين كانوا يعنونه بالعيب والنَّقص؛ أي: على سبيل التَّنقُّص والازدراء(٥)؛ والمقصود منه: "إنكارٌ لِأَنْ يكون بعثه اللَّه رسولًا"(٦).

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨١)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٥)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٠).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١١)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٢).

(٣) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٦١)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٨، ١٠٩).

(٤) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٣٥)، (بتصرُّفٍ).

(٥) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٣)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٣).

(٦) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٢).

وما نصل إليه، هنا؛ أنَّ الاستفهام تضمَّن "استهزاء المشركِين بالنَّبيِّ ﷺ، وتسمية دعوته إضلالًا...، [و]الاستفهام للاستهزاء والتَّهكُّم"(١)، والإشارة؛ "للاستحقار؛ وعدم تأهُّله للرِّسالة في زعمهم"(٢)؛ حيث قالوا "على سبيل التَّنقُّص والازدراء: أهذا المبعوث من عند الله رسولًا إلينا؟"(٣).

- **الموضع الثَّالث عشر: انفراد الاستفهام.**

- قال تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

يُعَدُّ قوله تعالى: (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) كالجواب عن قول المشركِين: (إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا)؛ لنسبة الرَّسول ﷺ إلى الضَّلال، ويُروى أنَّه من قول أبي جهلٍ(٤)، والكافرون سيعلمون حين رؤيتهم عذاب الآخرة "مَن أخطأُ طريقًا عن الهدى، أهم، أم المؤمنون"(٥)؛ ففي الخطاب "وعيدٌ شديدٌ لهم على التَّعامي والإعراض عن الاستدلال والنَّظر"(٦)؛ وفيه: "دلالةٌ على أنَّه لا يهملهم، وإنْ أمهلهم"(٧).

---

(١) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧٠).

(٢) نفسه، (١٩: ٧١).

(٣) نفسه، (١٩: ٧٢).

(٤) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨١، ٢٨٢)، (بتصرُّفٍ).

(٥) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٢).

(٦) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٦٢)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٣٥)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧٣).

(٧) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٥).

وفي قوله تعالى: (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) تأكيدٌ على أنَّه "لا بُدَّ للوعيد أن يلحقهم، فلا يغرَّنَّهم التَّأخير...؛ والظَّاهر أنَّ "مَنْ" استفهاميَّةٌ...، ويجوز أن تكون "مَنْ" موصولةً"(١)؛ وبذلك تحمل الجملة المُمَهِّدة للسُّؤال دلالة الوعيد الشَّديد؛ فقد قالها الله تعالى "مُتَوَعِّدًا لهم ومُتَهَدِّدًا"(٢)؛ ففيها "ما لا يَخفى من الوعيد والتَّنبيه"(٣).

ونخلص إلى أنَّ الاستفهام كان بمثابة "الجواب بقطع مجادلتهم، وإحالتهم على حين رؤيتهم العذاب ينزل بهم؛ فتضمَّن ذلك وعيدًا بعذابٍ...، ولَمَّا كان الجواب بالإعراض عن المُحَاجَّة؛ ارتُكب فيه أسلوب التَّهكُّم؛ بجعل ما ينكشف عنه المستقبل هو معرفة مَنْ هو أشدُّ ضلالًا من الفريقين؛ على طريقة المجاراة وإرخاء العَنَان للمخطئ"(٤).

- **الموضع الرَّابع عشر: انفراد الاستفهام المتواتر.**

- قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

بدا الاستفهام متواترًا، في الآيتين الكريمتين، ضمن مخاطبة الله تعالى نبيَّه ﷺ، بقوله: هذا الَّذي لا يرى معبودًا إلَّا هواه، كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، أفتتوكَّل عليه وتجبره على الإسلام، و"أَمْ" منقطعةٌ؛ والمعنى: بل أتحسب كأنَّ هذه المذمَّة أشدُّ

---

(١) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٠٩، ١١٠).

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٣).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٠).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٤).

من الَّتي تقدَّمتها حتَّى حُقَّتْ بالإضراب عنها إليها؛ وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول؛ لأنَّهم لا يلقون إلى استماع الحقِّ أذنًا، ولا إلى تدبُّره عقلًا، ومُشَبَّهِين بالأنعام الَّتي هي مَثَلٌ في الغفلة والضَّلال، ثمَّ هم أرجح ضلالةً منها(١).

وقد أوحى الاستفهام المتتابع بإيناس "النَّبيِّ ﷺ عن كفرهم...؛ والمعنى: لا تتأسَّف عليهم، ودعهم لرأيهم، ولا تحسب أنَّهم على ما يجب من التَّحصيل والعقل، بل هم كالأنعام في الجهل بالمنافع وقلَّة التَّحسُّس للعواقب، ثمَّ حكم بأنَّهم (أَضَلُّ سَبِيلًا)؛ من حيث لهم الفهم وتركوه"(٢).

وعجَّب الله تعالى، في مطلع الآية الكريمة، نبيَّه ﷺ من جهل المشرك حين عبد ما دعاه إليه الهوى، ثمَّ سأله عن كونه ﷺ حفيظًا عليه من اتِّباع هواه، مع انتفاء ذلك، وعن انتظاره من عموم الكافرِين سماع دعوته باهتمامٍ، أو فهم ما يعاينون من الحُجج، مع عدم انتفاعهم بعقولهم(٣).

وكلمة "أَرَأَيْتَ" "تصلح للإعلام والسُّؤال؛ وها هنا هي تعجيبٌ من جهل مَن هذا وصفه ونعته"(٤)؛ فالله تعالى "عجَّب نبيَّه ﷺ من إضمارهم على الشِّرك، وإصرارهم

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٢)، (بتصرُّفٍ).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١١).

(٣) يُنظَر: ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٢)؛ ويُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٦٣).

(٤) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٦٢)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١١٠).

عليه، مع إقرارهم بأنَّه خالقهم ورازقهم"[١]؛ فكان "الاستفهام الأوَّل للتَّقرير والتَّعجيب، والثَّاني للإنكار"[٢]؛ والثَّالث "أشدُّ مذمَّةً ممَّا قبله حتَّى حُقَّ بالإضراب عنه إليه"[٣].

وبذلك اجتمعت، في الاستفهام الأوَّل، عدَّة دلالاتٍ؛ ففيه "يأسٌ عن إيمانهم، وإشارةٌ إليه ﷺ ألَّا يتأسَّف عليهم، وإعلامٌ أنَّهم في الجهل بالمنافع وقلَّة النَّظر في العواقب مثل البهائم"[٤]، وهو، في إجماله، "تعجيبٌ لرسول الله ﷺ من شناعة حالهم، بعد حكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال، وبيان ما لهم من المصير والمآل، وتنبيهٌ على أنَّ ذلك من الغرابة؛ بحيث يجب أن يُرى ويُتعجَّب منه"[٥].

وأمَّا الاستفهام الثَّاني؛ ففيه "إنكارٌ واستبعادٌ لكونه ﷺ حفيظًا عليه يزجره عمَّا هو عليه من الضَّلال، ويرشده إلى الحقِّ طوعًا أو كَرهًا"[٦]، ثمَّ يكون الاستفهام الثَّالث إضرابًا عن الإنكار الأوَّل إلى الإنكار الثَّاني؛ ففيه "إضرابٌ وانتقالٌ عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانه ﷺ لهم ممَّن يسمع أو يعقل"[٧].

---

(١) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٣٥).

(٢) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٥)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧٠؛ ٧٣؛ ٧٤؛ ٧٦).

(٣) نفسه، (٤: ١٢٥)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧١؛ ٧٤؛ ٧٥).

(٤) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١١٠).

(٥) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٠، ٢٢١)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٣).

(٦) نفسه، (٦: ٢٢١)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٣).

(٧) نفسه، (٦: ٢٢١)؛ ويُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٤).

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّه إنْ كان مجموع جملتي الاستفهام الأوَّل فالثَّاني "كلامًا واحدًا مُتَّصِلًا ثانيه بأوَّله...؛ تعيَّن فعل "رَأَيْتَ" لِأَنْ يكون فعلًا قلبيًّا بمعنى العلم، وكان الاستفهام الَّذي في الجملة الأولى بقوله: "أَرَأَيْتَ" إنكاريًّا كالثَّاني...، وكان مجموع الجملتين كلامًا على طريقة الإجمال ثمَّ التَّفصيل؛ والمعنى: أَرَأَيْتَكَ تكون وكيلًا على (مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ)، وتكون الفاء في قوله: (أَفَأَنْتَ) فاء الجواب للموصول؛ لمعاملته معاملة الشَّرط، وهمزة الاستفهام الثَّانية تأكيدٌ للاستفهام الأوَّل"[(١)].

وإنْ كانت "كلُّ جملةٍ من الجملتين مستقلَّةً عن الأخرى في نظم الكلام؛ كان الاستفهام الَّذي في الجملة الأولى مستعملًا في التَّعجيب من حال الَّذين اتَّخذوا إلههم هواهم تعجيبًا مَشُوبًا بالإنكار، وكانت الفاء في الجملة الثَّانية للتَّفريع على ذلك التَّعجيب والإنكار، وكان الاستفهام الَّذي في الجملة الثَّانية من قوله: (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) إنكاريًّا؛ بمعنى: أنَّك لا تستطيع قلعه عن ضلاله"[(٢)].

ونستطيع، بالإضافة إلى الاستقصاء السَّابق، فهم الدَّلالات الاستفهاميَّة المتتالية على أنَّها "انتقالٌ عن التَّأييس من اهتدائهم؛ لغلبة الهوى على عقولهم، إلى التَّحذير من أن يُظَنَّ بهم إدراك الدَّلائل والحجج؛ وهذا توجيهٌ ثانٍ للإعراض عن مجادلتهم...، و"أَمْ": منقطعةٌ للإضراب الانتقاليِّ من إنكارٍ إلى إنكارٍ، وهي مؤذنةٌ باستفهامٍ عَطفَتْه على الاستفهام الَّذي قبلها؛ والتَّقدير: أم أتحسب (أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ)؛

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٥، ٣٦).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٦).

والمراد من نفي أنَّ أكثرهم يسمعون: نفي أثر السَّماع؛ وهو فهم الحقِّ؛ لأنَّ ما يلقيه إليهم الرَّسول ﷺ لا يرتاب فيه إلَّا مَن هو كالَّذي لم يسمعه"(١).

- **الموضع الخامس عشر: انفراد الاستفهام.**

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾

اقتصر الإنشاء، هنا، على أسلوب الاستفهام بالهمزة، مع تجريد "كَيْفَ" من الدَّلالة الحقيقيَّة للاستفهام؛ والمقصود: "ألم تنظر إلى صنع ربِّك وقدرته"(٢)؛ وفحوى الاستفهام: "انتبه"(٣)؛ والفعل بدلالة: "تعلم" "من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية العين(٤)؛ والمعنى: ألم تر إلى الظِّلِّ كيف مدَّه ربُّك؟"(٥).

وإنْ كان المخاطَب بالاستفهام هو الرَّسول ﷺ؛ بحسب ظاهر اللَّفظ، إلَّا أنَّ "الخطاب عامٌّ في المعنى؛ لأنَّ المقصود من الآية: بيان نعم الله تعالى بالظِّلِّ، وجميع المُكَلَّفِين مشتركون في أنَّه يجب تنبُّههم لهذه النِّعمة، وتمكُّنهم من الاستدلال بها على وجود الصَّانع"(٦).

---

(١) نفسه، (١٩: ٣٧).

(٢) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٣).

(٣) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٢).

(٤) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧٩؛ ٨٦).

(٥) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٣)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٣٧).

(٦) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٦٤)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٦).

ويسعنا التَّأويل في "كَيْفَ" بأنَّها سؤالٌ عن الحال، وليست باقيةً على حقيقة الاستفهام؛ فالمعنى: ألم تر إلى مدِّ ربِّك الظِّلَّ[١]، وقد شرع الله تعالى، من بداية هذه الآية الكريمة، "في بيان الأدلَّة الدَّالَّة على وجوده، وقدرته التَّامَّة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادَّة"[٢].

ويُستجلى، في هذا الاستفهام، بيانٌ "لبعض دلائل التَّوحيد، إثر بيان جهالة المعرضِين عنها وضلالتهم، والخطاب لرسول الله ﷺ، والهمزة للتَّقرير والتَّعرُّض لعنوان الرُّبوبيَّة، مع الإضافة إلى ضميره ﷺ؛ لتشريفه ﷺ...؛ إذ لا ريب في أنَّ المراد تنبيه النَّاس على عظيم قدرة الله عزَّ وجلَّ، وبالغ حكمته فيما يشاهدونه...، ولعلَّ توجيه الرُّؤية إليه سبحانه وتعالى، مع أنَّ المراد تقرير رؤيته ﷺ لكيفيَّة مدِّ الظِّلِّ؛ للتَّنبيه على أنَّ نظره ﷺ غير مقصورٍ على ما يطالعه من الآثار والصَّنائع، بل مطمح أنظاره معرفة شؤون الصَّانع المُجِيد"[٣]؛ وذلك عبر توظيف البصر والبصيرة في إدراك قدرة الله تعالى وسعة رحمته[٤].

والاستفهام، في عموم دلالته، "تقريريٌّ؛ فهو صالحٌ لطبقات السَّامعِين: من غافلٍ يُسأل عن غفلته؛ ليُقِرَّ بها تحريضًا على النَّظر، ومن جاحدٍ يُنكر عليه إهماله النَّظر، ومن مُوَفَّقٍ يُحَثُّ على زيادة النَّظر. والرُّؤية بصريَّةٌ، وقد ضُمِّنَ الفعل معنى النَّظر؛ فَعُدِّيَ إلى المرئيِّ بحرف (إلى)...، وعلى كُلٍّ؛ فإنَّ "كَيْفَ"، هنا، مُجَرَّدَةٌ عن الاستفهام،

---

(١) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١١١، ١١٢)، (بتصرُّفٍ).

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٣).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٢).

(٤) يُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٤).

وهي اسمٌ دالٌّ على الكيفيَّة؛ فهي في محلِّ بدل الاشتمال من ربِّك؛ والتَّقدير: ألم تر إلى ربِّك إلى هيئة مدِّه الظِّلَّ"(١).

- الموضع السَّادس عشر: اجتماع النَّهي والأمر.

- قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ﴾

التقى النَّهي والأمر في هذا الموضع؛ حيث نهى الله تعالى نبيَّه ﷺ عن طاعة الكافرِين فيما يريدونه عليه، ثمَّ أمره بمقابلة ذلك بالتَّشدُّد والتَّصبُّر؛ لغاية تهييجه وتهييج المؤمنِين وتحريكهم(٢)؛ فالمراد من الخطاب: "قابلهم من جِدِّك واجتهادك وعضِّك على نواجذك، بما تغلبهم به وتعلوهم، وجَعَله (جِهَادًا كَبِيرًا)؛ لما يُحتمل فيه من المشاقِّ العِظام"(٣).

وبذلك دعا النَّهي إلى إعراض النَّبيِّ ﷺ عن كُفَّار مكَّة الَّذين دعَوه إلى دين آبائهم، وحثَّ الأمر على جهاده الكبير لهم بالقرآن الكريم والدَّعوة(٤)؛ فالمقصود من النَّهي: نهيه ﷺ عن طاعتهم(٥)؛ وأمَّا بشأن أمر الجهاد؛ "فقال بعضهم: المراد: بذل الجهد في الأداء والدُّعاء، وقال بعضهم: المراد: القتال، وقال آخرون: كلاهما، والأقرب الأوَّل؛ لأنَّ السُّورة مكِّيَّةٌ، والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمانٍ"(٦).

---

(١) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٣٩، ٤٠).

(٢) يُنظَر: الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٦).

(٣) نفسه، (٣: ٢٨٦).

(٤) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٣)، (بتصرُّفٍ).

(٥) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٧٤)، (بتصرُّفٍ).

(٦) نفسه، (٢٤: ٤٧٤)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٥٨).

وتأتَّى لنا الوقوف على دلالتي: التَّهييج في النَّهي، والإزاحة في الأمر؛ ففي النَّهي تهييجٌ له ﷺ وللمؤمنِين؛ وفي الأمر تحريضٌ على الجهاد بالقرآن الكريم وبترك طاعتهم؛ من خلال مقابلة اجتهادهم في إبطال الحقِّ بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم(١).

وتمحور سبب النَّهي عن طاعة الكافرِين في أنَّهم جمعوا له ﷺ الأموال العظيمة؛ لترغيبه في الرُّجوع إلى دين آبائهم(٢)؛ فكان النَّهي لمقابلتهم "بالثَّبات والاجتهاد في الدَّعوة، وإظهار الحقِّ والتَّشدُّد معهم؛ كأنَّه نهيٌ لرسول الله ﷺ عن المداراة معهم، والتَّلطُّف في الدَّعوة"(٣).

وظهر، أيضًا، أنَّ النَّهي مستعملٌ في التَّحذير؛ وفعل (تطع) في سياق النَّهي يفيد عموم التَّحذير من أدنى طاعةٍ؛ أي: فلا تَهِنْ في الدَّعوة؛ رَغْبًا لرغبتهم أن تلين لهم. وبعد أن حذَّره من الوهن في الدَّعوة، أمره بالحرص والمبالغة فيها؛ وعبَّر عن ذلك بالجهاد؛ والمعنى: قاومهم بصبرك. وَكِبَرُ الجهاد: تكريره، والعزم فيه، وشدَّة ما يلقاه في ذلك من المشقَّة(٤).

والمعنى الإجماليُّ للآية الكريمة بما تضمَّنته من اجتماع النَّهي والأمر: "لا تتَّبع الكُفَّار فيما يدعونك إليه من مجاملةٍ أو موافقةٍ لآرائهم ومذاهبهم، وجاهدهم بكلِّ

---

(١) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٧، ١٢٨)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٧٨).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١١٧)، (بتصرُّفٍ).

(٣) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٥).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٥٣)، (بتصرُّفٍ).

سلاحٍ مادِّيٍّ أو عقليٍّ؛ وهو القرآن، جهادًا شاملًا لا هوادة فيه، متناسبًا مع كلِّ فرصةٍ تنتهزها"[١].

- الموضع السَّابع عشر: انفراد الأمر.

- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

أفاد الخطاب المستفتح بفعل الأمر (قُلْ)، في هذه الآية الكريمة، التَّكليف الرَّبَّانيَّ للرَّسول ﷺ بتبليغ القول الدَّالِّ على تنزيهه ﷺ وتبرئته من المطامع الدُّنيويَّة؛ لغاية "قلع شبهة الطَّمع في الثَّواب...؛ ومعنى اتِّخاذهم إلى الله سبيلًا: تقرُّبهم إليه، وطلبهم عنده الزُّلفى بالإيمان والطَّاعة. وقيل: المراد: التَّقرُّب بالصَّدقة والنَّفقة في سبيل الله"[٢].

وقد أمر الله عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ بأن يحتجَّ عليهم، مزيلًا لوجوه التُّهم في طلب المال، أو المنفعة الخاصَّة[٣]؛ وذلك "على القرآن وتبليغ الوحي...؛ وهذا توكيدٌ لصدقه ﷺ؛ لأنَّه لو سألهم شيئًا من أموالهم لاتَّهموه"[٤]؛ فدفع المَقُول عن النَّبيِّ ﷺ شبهة الطَّمع في المنفعة المادِّيَّة، وأظهر الشَّفقة من خلال الدَّعوة إلى التَّعرُّض للثَّواب،

---

(١) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٨٣، ٨٤).

(٢) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٨).

(٣) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٥)، (بتصرُّفٍ)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١١٩).

(٤) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٦)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٦٢).

والتَّخلُّص من العقاب، وأشعر بالثَّواب المُترَتِّب على الطَّاعة[١].

وإجمالًا؛ فإنَّ الأمر الإلهيَّ جرى للنَّبيِّ ﷺ بمخاطبة الكافِرين، على نحوٍ مباشرٍ؛ لبيان الغاية من دعوتهم في ابتغاء وجه الله تعالى، ثمَّ لهداية مَن ابتغى الاقتداء بنهجه ﷺ[٢]؛ فليس "عليه إلَّا التَّبليغ بالتَّبشير والنِّذارة لفائدتهم، لا يريد منهم الجزاء على عمله ذلك"[٣].

- **الموضع الثَّامن عشر: انفراد الأمر الثُّنائيِّ.**

- قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

انحصر الأسلوب الإنشائيُّ، هنا، في الأمر الثُّنائيِّ؛ بالفعلين: (تَوَكَّلْ)، و(سَبِّحْ)؛ مع دلالتهما، في العموم، على ترسيخ التَّوحيد والتَّمجيد والتَّنزيه، وتعزيز الصَّبر والثَّبات والتَّمكين؛ فقد وجَّه الله تعالى النَّبيَّ ﷺ "بأن يثق به، ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم، مع التَّمسُّك بقاعدة التَّوكُّل وأساس الالتجاء؛ وهو طاعته، وعبادته، وتنزيهه، وتحميده، وعرَّفه أنَّ الحيَّ الَّذي لا يموت حقيقٌ بأن يُتوكَّل عليه وحده"[٤]؛ والمعنى: "تَوَكَّلْ على المُتكفِّل بنصرك...، وقل: سبحان الله وبحمده؛ أي:

---

(١) يُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٨)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٦).

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٨)، (بتصرُّفٍ).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٥٧، ٥٨).

(٤) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٨)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٩).

تنزيهه واجبٌ"[١].

واستبان سبب الأمر بالتَّوكُّل في "أنَّه سبحانه لمَّا بيَّن أنَّ الكُفَّار متظاهرون على إيذائه؛ فأمره بألَّا يطلب منهم أجرًا البتَّة؛ أمره بأن يتوكَّل عليه في دفع جميع المضارِّ، وفي جلب جميع المنافع"[٢]؛ ومن المُفسِّرين من حمل الأمر التَّالي بالتَّسبيح "على نفس التَّسبيح بالقول، ومنهم مَن حمله على الصَّلاة، ومنهم مَن حمله على التَّنزيه لله تعالى عمَّا لا يليق به في توحيده وعدله؛ وهذا هو الظَّاهر"[٣].

وتضمَّن الأمر بالتَّوكُّل دلالة الحثِّ على "تفويض أمره إليه، وثقته به، واعتماده عليه؛ فهو المُتَكفِّل بنصره وإظهار دينه...، ثمَّ أمره بتنزيهه وتمجيده مقرونًا بالثَّناء عليه"[٤]؛ ليتحقَّق بالتَّوكُّل "الاستكفاء عن شرورهم، والإغناء عن أجورهم"[٥]؛ ويترسَّخ بالتَّسبيح تنزيه الله تعالى عن صفات النُّقصان، والثَّناء عليه بنعوت الكمال[٦].

والمنتهى إليه أنَّه تعالى أمر النَّبيَّ ﷺ بالتَّوكُّل عليه في الدَّعوة إلى الدِّين؛ فهو الَّذي يجازيه على ذلك ويجازيهم؛ وفي ذكر وصفي اللَّه تعالى تعريضٌ بالمشركِين؛ إذ ناطوا آمالهم بالأصنام؛ وفي الآية الكريمة إشارةٌ إلى أنَّ المرء الكامل لا يثق إلَّا باللَّه تعالى؛ وأمَّا أمره بالتَّسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمَّا لا يليق به، وفي المضمون، أيضًا، تعريضٌ بتسلية الرَّسول ﷺ على ما يلاقيه من أذاهم[٧].

---

(١) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٦).

(٢) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٧٦).

(٣) نفسه، (٢٤: ٤٧٧)؛ ويُنظَر: القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٦٢).

(٤) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٢٠)؛ ويُنظَر: ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٩).

(٥) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٦).

(٦) نفسه، (٦: ٢٢٦)، (بتصرُّفٍ).

(٧) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٥٩، ٦٠)، (بتصرُّفٍ).

وتبدَّى، في التَّوصيف السَّابق، فحوى الخطاب؛ حيث "وجَّه الله تعالى رسوله ﷺ بأن يتوكَّل على الله الحيِّ الَّذي لا يموت، العالم بجميع المعلومات، القادر على كلِّ الممكنات؛ فلا يرهب جانب المشركِين، ولا يخشى بأسهم، وأمره، أيضًا، بأن يُنزِّه ربَّه عن كلِّ صفات النَّقص كالشَّريك والولد، ويصفه بجميع صفات الكمال"(١).

- **الموضع التَّاسع عشر: انفراد الأمر.**

- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ورد فعل الأمر (اسْأَلْ) ضمن الإطار الموضوعيِّ المرتبط بالقدرة الرَّبَّانيَّة، والرَّحمة الإلهيَّة؛ لغاية التَّوجيه والإرشاد إلى الاستعلام الدَّقيق؛ والمراد في هذا السِّياق: "فسل عنه رجلًا عارفًا يخبرك برحمته، أو فسل رجلًا خبيرًا به وبرحمته، أو: فسل بسؤاله خبيرًا...؛ والمعنى: إنْ سألته وجدته خبيرًا. أو تجعله حالًا عن الهاء؛ تريد: فسل عنه عالمًا بكلِّ شيءٍ. وقيل: الرَّحمن: اسمٌ من أسماء الله مذكورٌ في الكتب المُتَقدِّمة، ولم يكونوا يعرفونه؛ فقيل: فسل بهذا الاسم مَن يخبرك من أهل الكتاب؛ حتَّى يُعرف مَن ينكره"(٢).

ويمكن فهم أسلوب الأمر، كما تقدَّم؛ على معنى: فاسأل عنه؛ أي: اسأل عنه جبريل عليه السلام، والعلماء، وأهل الكتب المُنْزَّلة، أو فاسأل الله عن كلِّ أمرٍ(٣)؛ فـ"بِهِ"

---

(١) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٩٢)؛ ويُنظَر أيضًا: نفسه، (١٩: ٩٣، ٩٤؛ ٩٨).

(٢) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٩)؛ ويُنظَر: أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٢١، ١٢٢).

(٣) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٦)، (بتصرُّفٍ).

"بمعنى: "عنه"...؛ وفي "هاء" "بِهِ" ثلاثة أقوالٍ: أحدها: أنَّها ترجع إلى الله تعالى. والثَّاني: إلى اسمه الرَّحمن؛ لأنَّهم قالوا: لا نعرف الرَّحمن. الثَّالث: إلى ما ذُكر من خلق السَّماوات والأرض وغير ذلك؛ وفي "الخبير" أربعة أقوالٍ: أحدها: أنَّه جبريل عليه السلام، قاله ابن عبَّاس. والثَّاني: أنَّه الله تعالى؛ والمعنى: سلني فأنا الخبير، قاله مجاهد. والثَّالث: القرآن، قاله شَمِرٌ. والرَّابع: مُسْلِمة أهل الكتاب، قاله أبو سليمان؛ وهذا يُخرَّج على قولهم: لا نعرف الرَّحمن؛ فقيل: سلوا مُسْلِمة أهل الكتاب؛ فإنَّ الله خاطب موسى عليه السلام في التَّوراة باسمه الرَّحمن؛ فعلى هذا الخطاب للنَّبيِّ ﷺ والمراد سواه"[1].

والمقصود من التَّوجيه إلى هذا السُّؤال: "فاسأل عمَّا ذُكر من الخلق والاستواء عالمًا يخبرك بحقيقته؛ وهو الله تعالى، أو جبريل عليه السلام، أو مَن وجده في الكتب المُتَقدِّمة؛ ليُصدِّقك فيه، وقيل: الضَّمير للرَّحمن؛ والمعنى: إنْ أنكروا إطلاقه على الله تعالى، فاسأل عنه مَن يخبرك من أهل الكتاب؛ ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم...، والسُّؤال كما يُعدَّى بِـ"عَنْ"؛ لتضمُّنه معنى: التَّفتيش، يُعدَّى بِـ"الباء"؛ لتضمُّنه معنى: الاعتناء"[2]؛ وقد يكون المقصود: "استعلم عنه مَن هو خبيرٌ به عالمٌ به؛ فاتَّبعه واقتد به، وقد عُلم أنَّه لا أحد أعلم بالله، ولا أخبر به، من عبده ورسوله محمَّدٍ ﷺ"[3].

ويُفهم، من مجمل الخطاب؛ التَّوجيه إلى السُّؤال حول "تفاصيل ما ذُكر إجمالًا من الخَلق...؛ والتَّقدير: إنْ شئت تحقيق ما ذُكر، أو تفصيل ما ذُكر؛ فاسأل معنيًّا به (خَبِيرًا) عظيم الشَّأن، محيطًا بظواهر الأمور وبواطنها، وهو الله سبحانه، يطلعك على

---

(١) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٦).

(٢) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٩).

(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١١٩)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٩٥).

جَلِيَّة الأمر"[١]، وقد فُرِّعَ على وصفه بِـ(الرَّحمن) هذا الأمر؛ للدَّلالة على أنَّ في رحمته من العظمة والشُّمول ما لا تفي فيه العبارة[٢].

- الموضع العشرون: اجتماع الأمر والاستفهام الثُّنائيِّ.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾

التأم فعل الأمر (اسْجُدُوا) مع الاستفهام الثُّنائيِّ: (وَمَاْ الرَّحْمَنُ)، و(أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)، في هذه الآية الكريمة؛ وأكَّد فعل الأمر دلالة التَّكليف بتوحيد الله تعالى وعبادته؛ من خلال وجوب السُّجود له وحده دون سواه من المعبودات الَّتي كانت شائعةً عند الكُفَّار؛ لإيحاء السُّجود بقمَّة الخضوع لله تعالى.

وتعدَّدت مدلولات الاستفهام الأوَّل: (وَمَاْ الرَّحْمَنُ)؛ إذ "يجوز أن يكون سؤالًا عن المُسَمَّى به؛ لأنَّهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسُّؤال عن المجهول بِـ"مَاْ"، ويجوز أن يكون سؤالًا عن معناه؛ لأنَّه لم يكن مستعملًا في كلامهم كما استُعمل الرَّحيم والرَّحوم والرَّاحم؛ أو لأنَّهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى"[٣]؛ ومعنى الاستفهام الأوَّل: "لا نعرف الرَّحمن إلَّا رحمن اليمامة؛ فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى"[٤]؛

---

(١) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٧).

(٢) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٦١)، (بتصرُّفٍ).

(٣) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٨٩)؛ ويُنظَر: ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٦).

(٤) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٢٦).

وفحوى الثَّاني: "إنكارٌ؛ ومعناه: لا نسجد للرَّحمن الَّذي تأمرنا بالسُّجود له"(١).

والأقرب في الاستفهام الأوَّل أنَّ المراد إنكارهم للَّه تعالى لا للاسم؛ لأنَّ هذه اللَّفظة عربيَّةٌ، وهم كانوا يعلمون أنَّها تفيد المبالغة في الإنعام، ثمَّ إنْ قلنا بأنَّهم كانوا منكرِين للَّه تعالى؛ كان قولهم سؤال طالبٍ عن الحقيقة، وإن قلنا بأنَّهم كانوا مُقِرِّين باللَّه، لكنَّهم جهلوا كونه تعالى مُسَمًّى بهذا الاسم؛ كان قولهم سؤالًا عن الاسم(٢)؛ وقد جاء هذا الاستفهام "على جهة الإنكار والتَّعجُّب"(٣).

واشتمل الاستفهام الثَّاني على دلالتي: الإنكار، والاستهزاء؛ إذ لمَّا رأى المشركون النَّبيَّ ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم "يسجدون؛ تباعدوا في ناحية المسجد مستهزِئين؛ فهذا هو المراد من قوله: (وَزَادَهُمْ نُفُورًا)؛ أي: فزادهم سجودهم نفورًا"(٤)؛ والاستفهام، وفق ذلك، "مبنيٌّ منهم على التَّكذيب بالرَّسول ﷺ، واستكبارهم عن طاعته"(٥).

وتجلَّى، في عمق المضمون؛ أنَّ الكافِرين لمَّا ذُكرت الصِّفة المقتضية للمبالغة في الرَّحمة؛ أظهروا تجاهل هذه الصِّفة الَّتي للَّه تعالى مغالطةً منهم ووقاحةً؛ واستفهموا عن الرَّحمن استفهام مَن يجهله وهم عالمون به، وعلى قول مَن قال: لم يكونوا يعرفون الرَّحمن إلَّا مُسَيْلِمَة؛ فالمعنى: أنسجد لمُسَيْلِمَة؟ وعلى قول مَن قال: لا

---

(١) نفسه، (٣: ٣٢٦)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٢٩)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٧).

(٢) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٧٩)، (بتصرُّفٍ).

(٣) القرطبيّ، تفسير القرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٦٤)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٩٥؛ ٩٩).

(٤) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٧٩)؛ ويُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ٩٦).

(٥) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٥).

يعرفون الرَّحمن بالكُلِّيَّة؛ فالمعنى: أنسجد لما تأمرنا من غير علمٍ ببيانه؟[١]، وقد قال الله تعالى هذه الآية الكريمة "منكرًا على المشركِين الَّذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد"[٢].

وينضاف إلى ذلك أنَّهم لمَّا سمعوا اسم "الرَّحمن"؛ أنكروه قصدًا بالتَّورُّك على النَّبيِّ ﷺ، فكانوا يقولون: انظروا إلى هذا الصَّابئ ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو اللَّه، ويدعو الرَّحمن؛ والخبر، هنا، مستعملٌ كنايةً في التَّعجيب من عنادهم وبهتانهم؛ و"مَاْ" استفهاميَّةٌ مستعملةٌ في الاستغراب؛ يَعنون تجاهل هذا الاسم[٣].

والاستفهام المُتَعلِّق بالسُّجود "إنكارٌ وامتناعٌ؛ أي: لا نسجد لشيءٍ تأمرنا بالسُّجود له؛ على أنَّ "مَاْ" نكرةٌ موصوفةٌ، أو لا نسجد للَّذي تأمرنا بالسُّجود له؛ إنْ كانت "مَاْ" موصولةً...؛ ومقصدهم من ذلك: إباء السُّجود للَّه؛ لأنَّ السُّجود الَّذي أُمروا به سجودٌ للَّه بنيَّة انفراد الله به دون غيره، وهم لا يجيبون إلى ذلك"[٤].

---

(١) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٢٢)، (بتصرُّفٍ).

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٢٠).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٦٢)، (بتصرُّفٍ).

(٤) نفسه، (١٩: ٦٢، ٦٣).

المبحث الثَّالث

الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في محور القدرة الإلهيَّة والعبوديَّة المثاليَّة.

ابتدأ المحور الثَّالث، لسورة "الفُرقان"، من (الآية الحادية والسِّتِّين)، وانتهى بختام السُّورة الكريمة في (الآية السَّابعة والسَّبعين)، والتأمت مضامينه الفرعيَّة في نطاقي: (القدرة الإلهيَّة، والعبوديَّة المثاليَّة)، وقد انحصر حضور الإنشاء الطَّلبيِّ، ضمن هذا المحور، في أساليب: (الأمر، والاستفهام، والنِّداء)؛ وذلك في المواضع الآتية:

- الموضع الأوَّل: اجتماع النِّداء والأمر.

- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ ﴾

شهدنا، في هذا الموضع، اجتماع أسلوبي: النِّداء الابتهاليِّ في (رَبَّنَا)، والأمر الدُّعائيِّ في (اصْرِفْ)؛ وذلك ضمن وصف الله تعالى عباده المؤمنِين "بإحياء اللَّيل ساجدِين وقائمِين، ثمَّ عقَّبه بذكر دعوتهم هذه؛ إيذانًا بأنَّهم، مع اجتهادهم، خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم"(١).

وتبيَّن لنا أنَّ الله تعالى مدح المؤمنِين "بدعائه في صرف عذاب جهنَّم؛ من حيث ذلك دليلٌ على صحَّة عقيدتهم وإيمانهم"(٢)؛ وذلك "لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم

---

(١) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٩٢).

(٢) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢١٩)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٢٨، ٢٢٩).

على استمرار أحوالهم"[١]؛ وفي هذا الابتهال فالدُّعاء "تحقيق إيمانهم بالبعث والجزاء"[٢]؛ وفيهما، أيضًا، طلب دفع العذاب عنهم بالعصمة من أسبابه، ومغفرة ما وقع منهم ممَّا هو مقتضٍ للعذاب[٣].

ومستصفى الدَّرس، في هذا الإطار؛ أنَّ دعاء هؤلاء المؤمنِين "أمارةٌ على شدَّة مخافتهم الذُّنوب؛ فهم يسعون في مرضاة ربِّهم؛ لينجوا من العذاب؛ فالمراد بصرف العذاب: إنجاؤهم منه بتيسير العمل الصَّالح وتوفيره، واجتناب السَّيِّئات"[٤].

وقد جاء الابتهال والدُّعاء في سياق ذكر الصِّفة الرَّابعة من صفات عباد الرَّحمن؛ وهي صفة الخوف من عذاب الله تعالى[٥]؛ فهؤلاء هم "الَّذين يخافون ربَّهم، ويدعونه في وجلٍ، ويقولون في حذرٍ: ربَّنا أبعد عنَّا عذاب جهنَّم وشدَّته"[٦]؛ وهذا يعني: "أنَّهم، مع طاعتهم، مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله، سواء في سجودهم وقيامهم؛ لأنَّ عذاب جهنَّم لازمٌ دائمٌ غير مفارقٍ، وبئس المستقرُّ، وبئس المقام، وهم يقولون ذلك عن علمٍ، وإذا قالوه عن علمٍ؛ كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون؛ فيكون ذلك أقرب إلى النَّجاح"[٧].

ويُلمح حذف حرف النِّداء قبل المنادَى (رَبَّنَا)؛ ولهذا الحذف أغراضه البلاغيَّة؛ ومن أظهرها: أنَّ الحذف قد يكون "للإيجاز؛ وذلك لأنَّ المقام قد يكون مقام إيجازٍ

---

(١) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٣٠).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٢٧).

(٣) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٦)، (بتصرُّفٍ).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٧٠).

(٥) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ١١٥).

(٦) نفسه، (١٩: ١٠٧).

(٧) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ١١٥).

واختصارٍ، لا مقام تبسُّطٍ وإطالةٍ"[1]؛ وقد يكون "القرب المنادَى من المنادِي، سواء كان القرب حقيقيًّا ماديًّا أم معنويًّا؛ فكأنَّ المنادَى لقربه لا يحتاج إلى واسطةٍ لندائه، ولو كان حرف نداءٍ"[2].

- **الموضع الثَّاني: اجتماع النِّداء والأمر الثُّنائيِّ.**

- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ ﴾

جرى الأسلوب الإنشائيُّ، هنا، على منوال الآية الخامسة والسِّتِّين؛ من خلال اجتماع النِّداء الموحي بالابتهال (رَبَّنَا)، والأمر الدَّالِّ على الدُّعاء، مع تميُّز الأمر بوجهته الثُّنائيَّة المُتَمثِّلة في فعلي: (هَبْ)، و(اجْعَلْنَا)؛ فقد سأل المؤمنون ربَّهم جلَّ وعلا أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عُمَّالًا لله يُسرُّون بهم، وأن يجعلهم أئمَّةً للمُتَّقِين؛ وأرادوا: اجعل كلَّ واحدٍ مِنَّا إمامًا، أو: اجعلنا إمامًا واحدًا[3].

وبذلك مدح الله تعالى المؤمنِين الَّذين دعوا بهذا الدُّعاء، ولا تتحقَّق الإمامة في الدُّعاء الثَّاني إلَّا إذا كان الدَّاعي مُتَّقِيًا قدوةً[4]؛ وقد يكون المقصود: "اجعلنا مُؤْتَمِّين بالمُتَّقِين مقتدِين بهم...؛ فالمعنى: واجعل المُتَّقِين لنا إمامًا"[5].

---

(١) السَّامرَّائيّ، فاضل صالح، (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)، معاني النَّحْو، (ط٢)، دمشق، وبيروت: دار ابن كثير، (٤: ٣٨١)، (- الأساليب/ - النِّداء/ - حذف حرف النِّداء).

(٢) نفسه، (٤: ٣٨٤).

(٣) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٩٦)، (بتصرُّفٍ).

(٤) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٢٢)، (بتصرُّفٍ).

(٥) ابن الجوزيِّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٣٢).

وهكذا يكون مضمون الأمر المشتمل على الدُّعاء مُوَجَّهًا لله تعالى ضمن إطاري: طلب السَّعادة في فلاح الأزواج والذُّرِّيَّات، وتحقيق القدوة الصَّالحة للمؤمنِين؛ ويكون ذلك "بتوفيقهم للطَّاعة، وحيازة الفضائل؛ فإنَّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله؛ سُرَّ بهم قلبه؛ وقرَّت بهم عينه"(١)، و(قُرَّة أعين) "كنايةٌ عن السُّرور والفرح"(٢)؛ والقصد من الدُّعاء: تعميم النَّفع على المسلمين، والارتقاء بالنُّفوس إلى درجة الإمامة في الدِّين(٣)؛ ذلك أنَّ المؤمنِين "يُعنون بانتشار الإسلام وتكثير أتباعه؛ فيدعون اللَّه أن يرزقهم أزواجًا وذُرِّيَّاتٍ تَقَرُّ بهم أعينهم...، وقد جُمع ذلك لهم في صفة (قُرَّة أعين)؛ فإنَّها جامعةٌ للكمال في الدِّين، واستقامة الأحوال في الحياة"(٤).

وكما سأل المؤمنون الله عزَّ وجلَّ "التَّوفيق والخير لأزواجهم وذرِّيَّاتهم، سألوا لأنفسهم، بعد أن وفَّقهم اللَّه إلى الإيمان، أن يجعلهم قدوةً يقتدي بهم المتَّقون؛ وهذا يقتضي أنَّهم يسألون لأنفسهم بلوغ الدَّرجات العظيمة من التَّقوى...؛ والإمام أصله: المثال"(٥).

ويُلحظ حضور إنشاء الطَّلب في إطار ذكر الصِّفة الحادية عشرة من صفات عباد الرَّحمن؛ وهي صفة الابتهال إلى الله تعالى(٦)؛ فهم "الَّذين يبتهلون إلى ربِّهم داعِين الله أن يرزقهم زوجاتٍ صالحاتٍ وأولادًا مؤمنِين صالحِين مهديِّين للإسلام، يعملون

---

(١) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٣١)؛ ويُنظَر: أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٣١).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٣٣).

(٣) يُنظَر: السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، (ص٥٨٧).

(٤) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٨١).

(٥) نفسه، (١٩: ٨٣).

(٦) يُنظَر: الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ١١٧).

الخير، ويبتعدون عن الشَّرِّ، تَقَرُّ بهم أعينهم، وتُسَرُّ بهم نفوسهم؛ فإنَّ المؤمن إذا رأى مَن يعمل بطاعة الله قرَّت عينه؛ وسُرَّ قلبه في الدُّنيا والآخرة. ويدعونه، أيضًا، أن يجعلهم أئمَّةً يُقتدى بهم في الخير واتِّباع أوامر الدِّين؛ وبذلك أحبُّوا أن تتَّصل عبادتهم بعبادة زوجاتهم وذُرِّيَّاتهم، وأن يكون هداهم مُتَعَدِّيًا إلى غيرهم بالنَّفع؛ فهم دعاة خيرٍ وبِرٍّ؛ وذلك أكثر ثوابًا، وأحسن مآبًا"(١).

- **الموضع الثَّالث: اجتماع الأمر والاستفهام.**

- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾

استُهلَّت هذه الآية الكريمة بفعل الأمر (قُلْ)؛ لتكليف النَّبيِّ ﷺ بالتَّبليغ الجازم، والتَّصريح الحاسم؛ فبعد أن وصف الله تعالى "عبادة العباد، وعدَّد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرَّفع من درجاتهم في الجنَّة، أتبع ذلك بيان أنَّه إنَّما اكترث لأولئك، وعَبَأ بهم، وأعلى ذكرهم، ووعدهم ما وعدهم؛ لأجل عبادتهم؛ فأمر رسوله ﷺ أن يُصرِّح للنَّاس، ويجزم لهم القول؛ بأنَّ الاكتراث لهم عند ربهم إنَّما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخرَ"(٢).

وتلزمنا الإشارة إلى تناسب هذه الآية الكريمة مع الآيات السَّابقة؛ إذ إنَّ الله تعالى لمَّا شرح صفات المُتَّقِين، وشرح حال ثوابهم؛ أمر رسوله ﷺ بهذا الأمر؛ فدلَّ

---

(١) نفسه، (١٩: ١١٢)؛ ويُنظَر: نفسه، (١٩: ١١٧).

(٢) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٩٧)؛ ويُنظَر: ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٢٣).

بذلك على أنَّه تعالى غنيٌّ عن عبادتهم؛ وأنَّه تعالى إنَّما كلَّفهم لينتفعوا بطاعتهم[١]؛ والمعنى: "قُلْ لهم كافَّةً مُشَافِهًا لهم بما صدر عن جنسهم من خيرٍ وشرٍّ"[٢].

و"مَا" الواردة بعد فعل الأمر "مُتَضمِّنةٌ لمعنى الاستفهام...؛ كأنَّه قيل: وأيُّ عبءٍ يعبأ بكم لولا دعاؤكم؛ يعنى: أنَّكم لا تستأهلون شيئًا من العبء بكم لولا عبادتكم...، ويجوز أن تكون "مَا" نافيةً...؛ وقيل: معناه: ما يصنع بكم ربِّى لولا دعاؤه إيَّاكم إلى الإسلام؛ وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهةً، فإن قلت: إلى مَن يتوجَّه هذا الخطاب؟ قلت: إلى النَّاس على الإطلاق؛ ومنهم مؤمنون عابدون، ومُكَذِّبون عاصون؛ فخوطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتَّكذيب"[٣]؛ و"مَا" "تحتمل النَّفي، وتحتمل التَّقرير"[٤].

وقد قال الخليل: "ما أعبأ بفلانٍ؛ أي: ما أصنع به؛ كأنَّه يستقلُّه ويستحقره، وقال أبو عبيدة: ما أعبأ به؛ أي: وجوده وعدمه عندي سواءٌ، وقال الزَّجَّاج: معناه: أي: لا وزن لكم عند ربِّكم؛ والعِبء في اللُّغة: الثِّقَل، وقال أبو عمرو بن العلاء: ما يبالي بكم ربِّي"[٥].

---

(١) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٨٨)، (بتصرُّفٍ).

(٢) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦: ٢٣٢).

(٣) الزَّمخشريّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، (٣: ٢٩٧)؛ ويُنظَر: ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التَّفسير، (٣: ٣٣٢، ٣٣٣)؛ ويُنظَر: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٨٨، ٤٨٩)؛ ويُنظَر: البيضاويّ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، (٤: ١٣٢)؛ ويُنظَر: ابن كثير، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، (٦: ١٣٤).

(٤) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤: ٢٢٣).

(٥) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب = التَّفسير الكبير، (٢٤: ٤٨٨).

و"مَاْ"، على ذلك، "استفهاميَّةٌ...، وليس يَبْعُدُ أن تكون نافيةً؛ لأنَّك إذا حكمت بأنَّها استفهامٌ؛ فهو نفيٌ خرج مَخْرَج الاستفهام"(١)؛ والظَّاهر، من مجموع الأقوال السَّابقة، أنَّ "مَاْ" نفيٌ بمعنى: "لَيْسَ"، ويجوز أن تكون استفهاميَّةً فيها معنى النَّفي؛ أي: أيُّ عبءٍ يَعبأ بكم؟(٢).

وصفوة التَّبصُّر، هنا؛ أنَّه لمَّا اشتملت السُّورة الكريمة على "أغراض التَّنويه بالرِّسالة والقرآن، وما تضمَّنته من توحيد اللَّه، ومن صفة كبرياء المعانِدين وتعلُّلاتهم، وأحوال المؤمنِين، وأُقيمت الحجج الدَّامغة للمعرضِين، خُتمت بأمر اللَّه رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام أن يخاطب المشركِين بكلمةٍ جامعةٍ يُزال بها غرورهم وإعجابهم بأنفسهم، وحُسبانهم أنَّهم قد شفَوا غليلهم من الرَّسول ﷺ بالإعراض عن دعوته، وتورُّكهم في مجادلته؛ فبيَّن لهم حقارتهم عند اللَّه تعالى، وأنَّه ما بعث إليهم رسوله وخاطبهم بكتابه إلَّا رحمةً منه بهم؛ لإصلاح حالهم؛ وقطعًا لعذرهم؛ فإذا كذَّبوا فسوف يحلُّ بهم العذاب"(٣).

وعليه؛ فقد جاء الإنشاء، في هذا الموضع؛ للتَّأكيد على أنَّ "الله غنيٌّ عن عباده؛ وإنَّما كلَّفهم لينتفعوا؛ وعذَّبهم لعصيانهم، فلا يبالي بهم ولا يكترث إذا لم يؤمنوا به ولم يعبدوه؛ فإنَّه إنَّما خلق الخلق ليعبدوه ويُوحِّدوه ويُسبِّحوه بكرةً وأصيلًا"(٤)، ولولا "عبادتهم وكثرة استغاثتهم إليه في الشَّدائد ونحوها، لما بالى الله

(١) القرطبيّ، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، (١٣: ٨٤).

(٢) أبو حيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط في التَّفسير، (٨: ١٣٤)، (بتصرُّفٍ).

(٣) ابن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (١٩: ٨٥).

(٤) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (١٩: ١١٣).

بهم، ولا اكترث بشأنهم؛ فإن كذَّبوا بما دُعوا إليه من الإيمان وعبادة الله؛ كان تكذيبهم ملازمًا لهم؛ وجزاء التَّكذيب دائمٌ لا مفرَّ منه"[١].

(١) نفسه، (١٩: ١١٧).

الخاتمة: (النَّتائج، والتَّوصيات).

- أوَّلًا: النَّتائج:

انتهى الباحث في هذه الدِّراسة إلى النَّتائج الآتية:

١ – مثَّل الإنشاء الطَّلبيُّ، بما تضمَّنه من معانٍ بلاغيَّةٍ كثيرةٍ، مرتكزًا مهمًّا لإبراز المضامين الجوهريَّة، والمقاصد المحوريَّة، الكائنة في سورة "الفُرقان"؛ لما اشتمل عليه من ملامح: الاختلاف النَّسقيِّ، والتَّأثير العقليِّ، والتَّوجيه الشُّعوريِّ.

٢ – تنوَّعت المعاني البلاغيَّة للأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة؛ في ضوء تعدُّد مسارات المُفَسِّرِين في فهم الآيات القرآنيَّة الكريمة، واستجلاء أبعادها البلاغيَّة.

٣ – استبان التَّناسب العدديُّ بين الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة والمحاور الأساسيَّة؛ إذ ورد العدد الأكبر من هذه الأساليب في المحور الثَّاني المُطَوَّل، الَّذي شكَّل بؤرة السُّورة الكريمة، وهو (محور الإنذار والجزاء والتَّثبيت)، وذلك في (عشرين موضعًا)، ووردت هذه الأساليب في (ثلاثة مواضع)، ضمن المحورين: (الأوَّل، والثَّالث)، على حدٍّ سواءٍ، وهما المحوران اللَّذان جسَّدا إطاري: (التَّوطئة، والختام)، في السُّورة الكريمة.

٤ – جاء عدد المواطن الفرعيَّة، لهذه الأساليب، ضمن المواضع الرَّئيسة السَّابقة، في محاور السُّورة الكريمة؛ على النَّحو الآتي:

أ – (– المحور الأوَّل: وردت هذه الأساليب، في سبعة مواطن، مع الأساليب المُكَرَّرة).

ب – (– المحور الثَّاني: وردت في اثنين وثلاثين موطنًا، مع الأساليب المُكَرَّرة).

ج – (– المحور الثَّالث: وردت في سبعة مواطن، مع الأساليب المُكَرَّرة).

د – (– المجموع: وردت في ستَّةٍ وأربعين موطنًا)؛ وهذا المجموع يُعبِّر عن محوريَّة حضور الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في سورة "الفُرقان" المُكَوَّنة من (سبعٍ وسبعين آيةً).

٥ – استوفى (المحور الثَّاني) الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة الأساسيَّة؛ الماثلة في: (الأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمنِّي، والنِّداء، بالإضافة إلى التَّحضيض)، وظهرت، في (المحور الأوَّل)، أساليب: (الأمر، والاستفهام، والتَّحضيض)، وتجلَّت، في (المحور الثَّالث)، أساليب: (الأمر، والاستفهام، والنِّداء)؛ ممَّا يُعزِّز ثراء (المحور الثَّاني) بالدَّلالات البلاغيَّة النَّاجمة عن تنوُّع هذه الأساليب وكثرتها، وتعدُّد الأنظار البلاغيَّة فيها.

٦ – تبدَّت الأساليب المنفردة في (خمسة عشر موضعًا) من المحاور الثَّلاثة: (١/ ١٤/ ٠)، وجاءت الأساليب المجتمعة في (أحد عشر موضعًا): (٢/ ٦/ ٣)، وحضرت الثُّنائيَّات في (أربعة مواضع)؛ وذلك بورود ثلاثةٍ منها، ضمن المحور الثَّاني، في أسلوب الاستفهام، وبورود موضعٍ وحيدٍ، ضمن المحور الثَّالث، في أسلوب الأمر؛ وتعكس غلبة الأساليب المنفردة، ولا سيَّما في المحور الثَّاني، بؤريَّة الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في ترسيخ مقاصد الآيات الكريمة؛ وتوحي غلبة ثنائيَّات الاستفهام، ضمن المحور الثَّاني، بأهمِّيَّتها في تعزيز الخطاب الحِجاجيِّ الفاعل في هذا المحور.

٧ – كان أسلوب الأمر الأكثر حضورًا؛ بوروده في (خمسة عشر موطنًا)؛ وفق التَّوزيع المحوريِّ الآتي: (٢/ ٩/ ٤)، وتلاه أسلوب الاستفهام الوارد في (أربعة عشر موطنًا): (٢/ ١١/ ١)، ثمَّ جاء أسلوب النِّداء في (خمسة مواطن): (٠/ ٣/ ٢)، ثمَّ أتى أسلوب التَّحضيض في (ثلاثة مواطن): (١/ ٢/ ٠)، ثمَّ توازى أسلوبا: النَّهي، والتَّمنِّي، (بموطنين) فقط؛ في المحور الثَّاني؛ ويُعلَّل الحضور اللَّافت لأسلوبي: الأمر، والاستفهام؛ بدورهما البارز في تمكين القُوَّة الحِجاجيَّة الدَّاحضة لشبهات الكافرِين، وتفعيل التَّأثير العقليِّ والشُّعوريِّ في المُتَلقِّين.

٨ – ظهرت الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة بالأسماء والأفعال والحروف الآتية:

أ – أسلوب الأمر: (– المحور الأوَّل: قُلْ، انْظُرْ/ – المحور الثَّاني: ادْعُوا، قُلْ، اذْهَبَا، جَاهِدْهُمْ، قُلْ، تَوَكَّلْ، سَبِّحْ، اسْأَلْ، اسْجُدُوا/ – المحور الثَّالث: اصْرِفْ، هَبْ، اجْعَلْنَا، قُلْ).

ب – أسلوب الاستفهام: (– المحور الأوَّل: مَاْ، كَيْفَ/ – المحور الثَّاني: همزة الاستفهام في تسعة مواطن، والهمزة المُقَدَّرة في موطنٍ واحدٍ، مَنْ [وتحتمل الموصولة]، كَيْفَ، مَاْ/ – المحور الثَّالث: مَاْ [وتحتمل النَّافية]).

ج – أسلوب النِّداء: (– المحور الأوَّل: غير موجود/ – المحور الثَّاني: النِّداء بِـ"يَاْ" في ثلاثة مواطن/ – المحور الثَّالث: النِّداء بتقدير الحرف المحذوف، في موطنين).

د – أسلوب التَّحضيض: (– المحور الأوَّل: التَّحضيض الثُّلاثيّ المتواتر بِـ"لَوْلَاْ"/ – المحور الثَّاني: التَّحضيض الثُّنائيّ المتواتر بِـ"لَوْلَاْ"، والتَّحضيض المنفرد بِـ"لَوْلَاْ"/ – المحور الثَّالث: غير موجود).

هـ – أسلوب التَّمنِّي: (– المحور الأوَّل: غير موجود/ – المحور الثَّاني: لَيْتَنِي في موضعين/ – المحور الثَّالث: غير موجود).

و – أسلوب النَّهي: (– المحور الأوَّل: غير موجود/ – المحور الثَّاني: لَاْ تَدْعُوا، لَاْ تُطِعْ/ – المحور الثَّالث: غير موجود).

٩ – اتَّسع نطاق المعاني البلاغيَّة للأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في سورة "الفُرقان"؛ بأثرٍ من تعدُّد المسارات التَّفسيريَّة في بيانها، وتوضيح سياقاتها؛ ويمكننا حصرها، مع مراعاة ترتيب الأساليب وفق الكثرة العدديَّة، واستخلاص المعاني المباشرة والضِّمنيَّة من التَّفاسير المعتمدة، وذكرها بترتيب حضورها في المقاربات الوصفيَّة السَّابقة؛ وذلك في الإجمال الآتي:

أ – رسَّخ الأمر في (– المحور الأوَّل المعاني الآتية: الوجوب، والتَّكليف، والإلزام، والتَّوجيه، والتَّنبيه، والإيقاظ، والتَّحضيض، والتَّحذير، والوعيد، والحسم، والإثبات،

والتَّوبيخ، والتَّعنيف، والتَّحقيق، والتَّبرئة، والتَّسرية، والدَّهشة، والتَّعجُّب، والاستعظام، والتَّأمُّل، والمعاينة، والعلم)، وفي (- المحور الثَّاني المعاني الآتية: الإعلام، والتَّوبيخ، والتَّنبيه، والإقناط، والتَّهديد، والوعيد، والتَّمنِّي، واليأس، والتَّحسُّر، والتَّكليف، والإلزام، والإخبار، والتَّمثيل، والإرهاب، والتَّسلية، والتَّذكير، والتَّحذير، والموعظة، والتَّحريض، والتَّصبير، والتَّهييج، والتَّحريك، والمخالفة، والإزاحة، والتَّبليغ، والتَّنزيه، والتَّبرئة، والإزالة، والتَّوكيد، والتَّوحيد، والتَّمجيد، والتَّثبيت، والتَّمكين، والوجوب، والتَّحضيض، والتَّعريض، والاستعلام، والتَّوجيه، والإرشاد، والتَّحقيق، والتَّفتيش)، وفي (- المحور الثَّالث المعاني الآتية: الدُّعاء، والتَّحقيق، والدَّفع، والاستقامة، والارتقاء، والتَّبليغ، والتَّصريح، والجزم، والحسم، والإزالة).

ب - أوحى الاستفهام في (- المحور الأوَّل بدلالات: الاستهانة، والتَّصغير، والسُّخرية، والاحتجاج، والإنكار، والنَّفي، والتَّعجُّب، والتَّعيير، والتَّهكُّم، والاستهزاء، والتَّعنُّت، والعناد، والتَّكذيب، والاستحالة، والبطلان، والحاليَّة، والدَّهشة، والاستغراب، والاستعظام، والتَّنبيه)، وفي (- المحور الثَّاني بدلالات: التَّوقيف، والتَّوبيخ، والتَّنبيه، والتَّحسير، والتَّقريع، والتَّهكُّم، والتَّهويل، والتَّسفيه، والتَّلميح، والتَّلطيف، والإنذار، والتَّخويف، والتَّرهيب، والتَّبكيت، والتَّخذيل، والتَّقرير، والاستنطاق، والاستشهاد، والتَّبرُّؤ، والتَّصبير، والتَّسلية، والتَّعزية، والاستحثاث، والأمر، والاعتبار، والوعظ، والتَّعجُّب، والإنكار، والإيقاظ، والتَّهديد، والاستصغار، والسُّخرية، والاستهزاء، والجحود، والاستبعاد، والاستحقار، والتَّعييب، والتَّنقُّص، والازدراء، والوعيد، والقطع، والذَّمّ، والإيناس، والتَّعجيب، والإعلام، والاستفهام، والتَّأكيد، والتَّأييس، والتَّحذير، والإعراض، والنَّفي، والتَّبصير، والتَّعميم، والتَّفضُّل، والتَّحريض، والحاليَّة، والقدح، والمغالطة، والتَّجاهل، والتَّورُّك، والتَّكذيب، والاستكبار، والامتناع، والرَّفض)، وفي (- المحور الثَّالث بدلالات: النَّفي، والتَّقرير، والاستحقار، والإزالة).

ج - ألمح النِّداء في (- المحور الثَّاني إلى مدلولات: النَّدم، والتَّلهُّف، والتَّفجُّع،

والتَّأسُّف، والتَّحسُّر، والتَّعظيم، والتَّهويل، والتَّنبيه، والاستبعاد، والاستحالة، والويل، والشَّكوى، والتَّخويف، والبثّ، والتَّرهيب، والإنذار، والتَّذمُّر)، وفي (- المحور الثَّالث إلى مدلولات: الابتهال، والدُّعاء، والرَّجاء).

د - أحال التَّحضيض في (- المحور الأوَّل إلى مُؤَشِّري: التَّعجيز، والتَّخيير)، وفي (- المحور الثَّاني إلى مُؤَشِّرات: التَّعنُّت، والاستكبار، والعناد، والجحود، والمنازعة، والمعارضة، والتَّحدِّي، والاستهزاء، والاستعلاء، والتَّكبُّر، والعُتُوّ، والإعراض، والتَّكذيب، والتَّناقض، والتَّعجيز، والاستحالة، والتَّرجِّي، والاعتراض، والمجادلة، والذَّمّ، والتَّعذُّر، والتَّعلُّل).

هـ - كرَّس التَّمنِّي في (- المحور الثَّاني أغراض: النَّدم، والتَّلهُّف، والتَّفجُّع، والتَّحسُّر، والتَّنبيه، والاستبعاد، والتَّحذير، والتَّخويف، والتَّعلُّل، والاعتذار، والتَّوريك، والاشمئزاز).

و - وجَّه النَّهي في (- المحور الثَّاني إلى إيحاءات: التَّوبيخ، والإعلام، والتَّنبيه، والتَّحسير، والإقناط، والتَّهديد، والوعيد، والوجوب، والإلزام، والتَّهييج، والتَّثبيت، والتَّحذير، والتَّذكير).

١٠ - تقاطعت الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في قدرٍ لافتٍ من المعاني البلاغيَّة؛ ولهذا الاستنتاج ما يُبرِّره من انضوائها ضمن المنظومة اللُّغويَّة المتواشجة؛ بما اشتملت عليه من العناصر التَّكوينيَّة للخطاب، والأغراض المعنويَّة المُوَجَّهة للمخاطَب، مع ما فيها من تماسكٍ نَصِّيٍّ، والتئامٍ غائيٍّ؛ أسهما في توحيد المسارات البلاغيَّة الفرعيَّة؛ لخدمة المقاصد الأساسيَّة في السُّورة الكريمة، هذا من جانبٍ، ويبدو الجانب الآخر أكثر وضوحًا في الشَّواهد الموضعيَّة الَّتي احتوت على مظهري: الاجتماع، والاندماج، بين بعض الأساليب، وصولًا إلى حدِّ التَّبادل المُوَسَّع للمعاني البلاغية بينها؛ بأثرٍ من السِّياق المضمونيِّ للشَّاهد القرآنيِّ.

١١ – يُلحظ التَّناسب الواضح بين المعاني البلاغيَّة بأبعادها السِّياقيَّة ومضامين المحاور الأساسيَّة للسُّورة الكريمة.

١٢ – توافقت المعاني والدَّلالات والأغراض البلاغيَّة المحصورة سابقًا مع المقاصد والخصائص والمضامين العامَّة للسُّور المكِّيَّة، على نحوٍ راسخٍ.

- ثانياً: التَّوصيات:

يوصي الباحث بدراسة الأُطُر الآتية:

١ – مقاربة سورة "الفُرقان" من منظورٍ بلاغيٍّ شاملٍ؛ وفق العلوم البلاغيَّة الثُّلاثيَّة.

٢ – استجلاء مدى إثراء المعاني البلاغيَّة المنبثقة من الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة للتِّقنيَّات الحِجاجيَّة، في سورة "الفُرقان".

٣ – المقارنة بين الأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة في الخطاب القرآنيِّ المكِّيِّ والخطاب القرآنيِّ المدنيِّ؛ لاستقصاء مدى ترسيخها للمقاصد التَّشريعيَّة العامَّة فيهما.

(والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا البحث، وهو حسبي، ونعم الوكيل)

- ثَبَت المصادر والمراجع

- أَوَّلًا: القرآن الكريم.

- ثانياً: ثَبَت المصادر والمراجع:

١ – أنيس، إبراهيم وآخرون، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، المعجم الوسيط، (ط٢)، القاهرة: دار المعارف.

٢ – البيضاويّ، ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازيّ، (ت٦٩١هـ)، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، تح: محمَّد عبد الرَّحمن المرعشليّ، (ط١)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ.

٣ – التّونجيّ، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، الجامع في علوم البلاغة؛ المعاني – البيان – البديع، (ط١)، وهران، الجزائر: دار العزَّة والكرامة للكتاب.

٤ – الجارم، علي، وأمين، مصطفى، (١٩٩٩م)، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، (د. ط)، القاهرة: دار المعارف، (باتِّفاقٍ خاصٍّ مع النَّاشر ماكميلان وشركاه بلندن).

٥ – الجُرجانيّ، عليّ بن محمَّد، (ت٨١٦هـ)، (٢٠٠٤م)، معجم التَّعريفات، تح: محمَّد صدِّيق المِنشاويّ، (د. ط)، القاهرة: دار الفضيلة للنَّشر والتَّوزيع والتَّصدير.

٦ – ابن الجوزيِّ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمَّد، (ت٥٩٧هـ)، (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التَّفسير، تح: عبد الرَّزَّاق المهديّ، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربيّ.

٧ – الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد، (ت٣٩٣هـ)، (١٩٩٠م)، الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين.

٨ – أبو حيَّان الأندلسيّ، محمَّد بن يوسف، (ت٧٤٥هـ)، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، البحر المحيط في التَّفسير، تح: صدقي محمَّد جميل العطَّار، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسُّونة، (د. ط)، بيروت: دار الفكر.

٩ – الخطيب القَزوينيّ، جلال الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد بن محمَّد، (ت٧٣٩هـ)، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدِّين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

١٠ – الرَّازيّ، أبو عبد الله فخر الدِّين محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت٦٠٦هـ)، (١٤٢٠هـ)، التَّفسير الكبير = مفاتيح الغيب، تح: مكتب تحقيق دار إحياء التُّراث العربيّ، (ط٣)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ.

١١ – الزَّبِيديّ، محمَّد مرتضى، (ت١٢٠٥هـ)، (١٩٧٤م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، (د. ط)، الكويت: وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت.

١٢ – الزُّحيليّ، وهبة، (ت١٤٣٦هـ)، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (ط١)، دمشق: دار الفكر، وبيروت: دار الفكر المعاصر.

١٣ – الزَّمخشريّ، محمود بن عمر بن أحمد، (ت٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، (ط٣)، القاهرة: دار الرَّيَّان للتُّراث، وبيروت: دار الكتاب العربيّ.

١٤ – أبو زيد، كريمة محمود، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، علم المعاني؛ دراسة وتحليل، (ط١)، عابدين، القاهرة: مكتبة وهبة، ودار التَّوفيق النَّموذجيَّة للطِّباعة والجمع الآليّ.

١٥ – السَّامرَّائيّ، فاضل صالح، (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)، معاني النَّحْو، (ط٢)، دمشق، وبيروت: دار ابن كثير.

١٦ – السَّعديّ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت١٣٧٦هـ)، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، تح: عبد الرَّحمن بن معلَّا اللّويحق، (ط١)، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة.

١٧ – أبو السُّعود، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى العماديّ، (ت٩٨٢هـ)، (د. ت)، تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ.

١٨ – السَّكَّاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمَّد بن عليّ الخوارزميّ الحنفيّ، (ت٦٢٦هـ)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

١٩ – شرف الدِّين، جعفر، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، الموسوعة القرآنيَّة؛ خصائص السُّور، تح: عبد العزيز بن عثمان التّويجريّ، (ط١)، بيروت: دار التَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة.

٢٠ – شيخ أمين، بكريّ، (تشرين الأوَّل، أكتوبر/ ١٩٩٩م)، البلاغة العربيَّة في ثوبها الجديد؛ الجزء الأوَّل: علم المعاني، (ط٦)، بيروت: دار العلم للملايين.

٢١ – الصّعيديّ، (د. ت)، النَّظم الفنِّيّ في القرآن، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الآداب.

٢٢ – طَبانة، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، معجم البلاغة العربيَّة، (ط٣)، جدَّة: دار المنارة للنَّشر والتَّوزيع، والرِّياض: دار الرِّفاعيّ للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

٢٣ – الطَّبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، تفسير الطَّبريِّ = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات الإسلاميَّة بدار هجر، (ط١)، القاهرة: دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان.

٢٤ – طبل، حسن، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، علم المعاني في الموروث البلاغيِّ؛ تأصيل وتقييم، (ط٢)، المنصورة: مكتبة الإيمان.

٢٥ – ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر، (ت١٣٩٣هـ)، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (د. ط)، تونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر.

٢٦ – العاكوب، عيسى عليّ، والشّتيويّ، عليّ سعد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، الكافي في علوم البلاغة العربيَّة؛ المعاني – البيان – البديع، (ط١)، طرابلس، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة.

٢٧ – العاكوب، عيسى عليّ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، المُفَصَّل في علوم البلاغة العربيَّة؛ المعاني – البيان – البديع، (د. ط)، حلب: منشورات جامعة حلب، كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة.

٢٨ – عبد الغنيّ، أيمن أمين، (٢٠١١م)، الكافي في البلاغة؛ البيان والبديع والمعاني، (د. ط)، القاهرة: دار التَّوفيقيَّة للتُّراث والطَّبع والنَّشر والتَّوزيع.

٢٩ – عتيق، عبد العزيز، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، في البلاغة العربيَّة؛ علم المعاني، (ط١)، بيروت: دار النَّهضة العربيَّة.

٣٠ – العثيمين، الشَّيخ محمَّد بن صالح، (ت١٤٢١هـ)، (١٤٣٦هـ)، تفسير القرآن الكريم؛ سورة الفُرقان، (ط١)، القصيم، السُّعوديَّة: مؤسَّسة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين الخيريَّة.

٣١ – عطويّ، رفيق خليل، (حزيران، يونيو، ١٩٨٩م)، صناعة الكتابة؛ علم البيان، علم المعاني، علم البديع، (ط١)، بيروت: دار العلم للملايين.

٣٢ – ابن عطيَّة، أبو محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام الأندلسيّ، (ت٥٤٢هـ)، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

٣٣ – عكَّاويّ، إنعام فوَّال، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، المعجم المُفَصَّل في علوم البلاغة؛ البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدِّين، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

٣٤ – عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، (ط١)، القاهرة: عالم الكتب.

٣٥ – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريَّا، (ت٣٩٥هـ)، (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، (د. ط)، بيروت: دار الفكر.

٣٦ – الفيروزآباديّ، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، (د. ت)، القاموس المحيط، (د. ط)، القاهرة: دار الحديث.

٣٧ – الفيل، توفيق، (١٩٩١م)، بلاغة التَّراكيب؛ دراسة في علم المعاني، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الآداب.

٣٨ – قاسم، محمَّد أحمد، وديب، محيي الدِّين، (٢٠٠٣م)، علوم البلاغة؛ (البديع والبيان والمعاني)، (ط١)، طرابلس، لبنان: المؤسَّسة الحديثة للكتاب.

٣٩ – القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ، (ت٦٧١هـ)، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، تفسير القرطبيِّ = الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصريَّة.

٤٠ – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدِّمشقيّ، (ت٧٧٤هـ)، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمَّد السَّلامة، (ط٢)، الرِّياض: دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع.

٤١ – اللَّادقيّ، محمَّد طاهر، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، المُبَسَّط في علوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع؛ نماذج تطبيقيَّة، (د. ط)، صيدا، وبيروت: المكتبة العصريَّة.

٤٢ – المراغـيّ، أحمـد مصـطفى، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، علـوم البلاغـة؛ البيـان والمعاني والبديع، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

٤٣ – مطلوب، أحمد، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، (ط١)، بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات.

٤٤ – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، (د. ت)، لسان العرب، (ط١)، بيروت: دار صادر.

٤٥ – الميدانيّ، عبد الرَّحمن حسن حَبَنَّكة، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، البلاغة العربيَّة؛ أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكلٍ جديدٍ من طريفٍ وتليدٍ، (ط١)، دمشق: دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، وبيروت: الدَّار الشَّاميَّة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

٤٦ – نخبة من العلماء، (١٤٤١هـ)، المختصر في تفسير القرآن الكريم، (ط٦)، مكة المكرمة: دار المختصر للنشر والتوزيع.

٤٧ – الهاشميّ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، (د. ت)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصّميليّ، (د. ط)، صيدا، وبيروت: المكتبة العصريَّة.

- ثالثًا: ثَبَت الأبحاث المنشورة:

١ – أحمد، مصطفى أحمد محمَّد، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، صفات عباد الرَّحمن كما تُصوِّرها سورة "الفُرقان"؛ (دراسة موضوعيَّة)، مجلَّة الدِّراية، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنين بدسوق، كفر الشَّيخ، مصر، (ع: ١٥)، (ج: ٤)، (ص٢٥٩ – ٣٣٠).

٢ – حسن، فاطمة عيد عبد الفتَّاح، (أكتوبر، ٢٠٢٤م)، صفات عباد الرَّحمن الواردة في سورة "الفُرقان"؛ دراسة لغويَّة، مجلَّة الزَّهراء، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ٣٤)، (ع: ٢)، (هذا

العدد خاصٌّ بأبحاث المؤتمر العلميِّ الدَّوليِّ الخامس: "الأخلاق وآليَّات بناء الوعي الرَّشيد")، (ص٥٤٨٥ – ٥٥٥٤).

٣ – أبو زيد، نايل ممدوح، (٢٠٠٦م)، آيات صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"؛ دراسة بلاغيَّة، مجلَّة دراسات، علوم الشَّريعة والقانون، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، الأردن، (مج: ٣٣)، (ع: ٢)، (ص٤٥٥ – ٤٨٢).

٤ – عبد الحافظ، صابر أحمد، (١٩٩٧م)، أسلوب القرآن في عرض صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ١٦)، (ع: ١)، (ص٣٢٤ – ٣٥٣).

٥ – عبيد، أحمد إمام عبد العزيز، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، صفات عباد الرَّحمن كما تُصوِّرها سورة "الفُرقان"؛ دراسة موضوعيَّة، مجلَّة الدِّراية، كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنين بدسوق، كفر الشَّيخ، مصر، (ع: ١٥)، (ج: ٣)، (ص٣٥٥ – ٤٣٢).

٦ – عكاشة، تماضر إبراهيم، (٢٠١٩م)، الأحاديث الواردة في تفسير القرآن العظيم لابن كثيرٍ من سورة "الفُرقان"؛ (تخريج ودراسة)، المجلَّة الدَّوليَّة للدِّراسات الإسلاميَّة المُتَخصِّصة، مركز رفاد للدِّراسات والأبحاث، إربد، الأردن، (مج: ٢)، (ع: ٢)، (ص١٤٨ – ١٦٨).

٧ – المُدرس، آسيا يحيى عثمان، (يونيو، ٢٠٢٢م)، صفات عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، مجلَّة الدِّراسات العربيَّة، كُلِّيَّة دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، (مج: ٤٦)، (ع: ٥)، (ص٢١٧٧ – ٢٢١٨).

٨ – الهلاليّ، سعيد إسماعيل، (٢٠١٤م)، من بلاغة القرآن في وصف عباد الرَّحمن في سورة "الفُرقان"، حوليَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بالزَّقازيق، جامعة الأزهر، مصر، (مج: ٣٤)، (ع: ١)، (ص٤٥٧ – ٦٣٠).

٩ – همَّام، صلاح أبو الوفا العادليّ، (يوليو، ٢٠٢١م)، اقتران المعنى بالقراءة القرآنيَّة في سورة "الفُرقان"؛ دراسة تركيبيَّة دلاليَّة من خلال تفسير "المُحَرَّر الوجيز" لابن عطيَّة (المُتوفَّى: ٥٤٢هـ)، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مصر، (ع: ٥٣)، (ج: ١)، (ص٢٩٥ – ٣٦٠).

- رابعاً: ثَبَت الرَّسائل الجامعيَّة:

١ – الحشاش، مصعب موسى مسلم، (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، البناء التَّربويّ وآثاره في سورة "الفُرقان"؛ (دراسة موضوعيَّة تطبيقيَّة)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم، غزَّة: الجامعة الإسلاميَّة.

٢ – بوزيان، كلثوم، (١٤٣٦ – ١٤٣٧هـ /٢٠١٥ – ٢٠١٦م)، صفات عباد الرَّحمن من خلال سورة "الفُرقان"؛ دراسة تحليليَّة وموضوعيَّة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: محمَّد الصَّالح غريسي، الوادي، الجزائر: جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر.

٣ – الكبيسيّ، إبراهيم عبد السَّلام ياسين، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، سورة "الفُرقان"؛ دراسة وتحليل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: مشعان سعود عبد العيساويّ، بغداد: جامعة بغداد.